

الدكتور  
محمود السيد شيخون

للمدرس في كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

# للأسلوب اللغوي

نشأته - تطوره - بلاغته

الطبعة الأولى

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

الناشر  
مكتبة الكليات الأزهرية

حسين محمد إمامي وأخيه محمد  
وشارع الصداقية بالأزهر

تليفون ٩٣١٢٩٦

المذكور  
محمود السيد شيخون  
المدرس في كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

# لِلدُّسَلْوِ (الدُّسَالِي)

نشأتها - تطوُّره - بلاغتها

الطبعة الأولى

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

الناشر  
مكتبة الكليات الأزهرية  
٩ ش. الصناديق - الأزهر - القاهرة

تليفون ٩٣١٢٩٦

# بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تمهيد

### معنى كلمة «كناية»

الكناية في اللغة : مصدر كنى يكنى ، فيكون يأنى اللام ، أو كنى يكنون ، فيكون وأوى اللام (١) .

والمعنى العام لهذا المصطلح البلاغى : « هو أن تتكلم بشيء » ، وتريد غيره (٢) .

وقد وردت (٣) لما صور بهذا المعنى في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم « فكلمة » الرفث « لم يرد بها لفظها ، أو المعنى الظاهر لهذا اللفظ ، ومثلها لفظا « الغائط ، والملازمة » في قوله تعالى : « أو جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء » .

كما وردت في الحديث النبوى أنفاظ بهذا المعنى ، أى الدلالة على مستور خفى توحى به اللفظة ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لغلام أسود اسمه أنجشة كان يحدو بالنساء ركابهن في بعض أسفاره « ويرتجز بنفسيب الشعر والرجز وراء من « رويدك سوقك بالقوارير ، فكلمة « القوارير » لم يرد بها لفظها أو المعنى الظاهر لهذا اللفظ ، وإنما أريد بها « النساء » .

كما وردت لفظة الكناية ، أو ما يشق منها بهذا المعنى في شعر المشعراء ، فقال أبو زيد السكلاوى :

ولئى لأكنى عن قدور بغيرها وأعرب أحيانا بها فأصارح (٤)

وقاله ابن برى : وقد أرسلت في السر أن قد فضحتنى

وقد تحت باسمى في النسيب وما تكنى

(١) انظر لسان العرب مادة: كنى ، ٢٠ : ٩٨ ، والقاموس المحيط : ٤ : ٣٨٦ .

(٢) انظر مختار الصحاح مادة كنى ص ٩١ - (٣) أى الكناية (٤) قدور :

## مقدمة

الحمد لله . نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونقرب إليه ، ونموذ بأشده من  
شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا  
هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده  
ورسوله ، صلى الله عليه . وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع سنته ، واهتدى بهداه  
إلى يوم الدين .

أما بعد

فهذه دراسات حول الأسلوب الكفائي قد دفتى إلى القيام بها أربعة  
أمور هي :

١ - الرغبة في التعرف على تاريخ هذا الأسلوب ، كيف نشأ ؟ وكيف  
تطور ؟

٢ - معرفة الشخصيات التي أسهمت في اكتشاف هذا الأسلوب ،  
وكشفت عن جماله ، وأبانت بلافته .

٣ - الكشف عن البيئات التي عاش فيها هذا الأسلوب ، والمواقف  
التي احتوتها .

٤ - الكشف عن أسرار البلاغة ، ولطائفة الأدبية .

وبعد طول معايشرة لكتب البلاغة والأدب قديما ، وحديثا ، تمكنت  
من أن ألم بأطراف هذا الأسلوب المنشعب ، وأن أزيح الستار عن بعض أسرار  
ولطائفه .

وقد كان سبيلي في هذا البحث أنني سلكت في تمهيد ، وخمسة فصول ،  
وخاتمة . أما التمهيد فقد كشفت فيه عن معنى كلمة « كفاية »

وأما الفصول ، فقد تحدثت في الفصل الأول منها عن السكتانية منذ أن كانت صورة في خيال الشعراء ، حتى صارت فنا من فنون البلاغة ، مستعرضا في هذا الفصل جهود علماء البلاغة مناقشا آراءهم ، كاشفا النقاب عن مناهجهم مسجلا ملاحظاتي على دراساتهم .

وتحدثت في الفصل الثاني عن الأسلوب السكتاني في العصر الحديث متتبعا بالبحث والدراسة علماء البلاغة الذين عنوا بهذا الأسلوب ، مزجنا الستار عن جهودهم ، مسجلا ملاحظاتي على دراساتهم .

وتحدثت في الفصل الثالث عن صور الأسلوب السكتاني التي تبلورت عنها جهود علماء البلاغة في نهاية المطاف ، فتناولت هذه الصور بطريقة سهلة بعيدة عن الخلافات التي أطاحت ببهجتها وروائها .

وفي الفصل الرابع تحدثت عن الأثر البلاغي للأسلوب السكتاني ، فكشفت القناع عن بعض ما ينطوي عليه هذا الأسلوب من الأسرار البلاغية ، والاطائف الأدبية .

وفي الفصل الخامس والأخير تحدثت عن الأسلوب السكتاني في القرآن الكريم ، فأعطت اللثام عن خصائصه التي كانت السر في عظمته ، والسبب في جماله ، وخلوده .

أما الخاتمة فقد أثبت فيها النتائج التي انتهيت إليها في بحبي هذا والله الكريم أسأل أن يجعل هذه الدراسات خالصة لوجهة الكريم ، خادمة لقنة القرآن العظيم ، لأنه سميع مجيب ، وهو حسبي ونعم الوكيل ؟

الدكتور

محمود السيد شيخون

الأستاذ المساعد في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

# الفصل الأول

## الكناية في القديم

أقد عرف القدماء من الشعراء الكناية صورة في خيالهم ، توضح الفكرة ،  
وتزين الأسلوب ، ولم يعرفوها لو بنا بلاغيا محمدا واضح المعالم بين السمات .

فكنى امرؤ القيس بالبيضة عن المرأة في قوله :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها      تمتعت من لمو بها غير معجل

وكنى الفايضة الذي يئس عن طول العنق وتماخى بقلوبه :

إذا ارتشت خاف الجبان رعاشها      ومن يتماخى حيث عاق يفرق (١)

وكنى عذرة العيسى بالشاه من جاريتها في قوله :

ياشاة ما قنص لمن حلت له      حرمت على وليتها لم تحرم

وكنى أوس بن حجر عن الحرب بقوله :

حتى يلف تخيلهم ، ويؤونهم      لهب كناعية الحصان الأشقر

وكنى زهير عن طول عنق القرس وقوائمها بقوله :

وما جئنا ما إن ينال قذاله      ولا قدماء الأرض إلا أنامله (٢)

وكنى الأعشى عن رقة الخضر وتماخى بقلوبه :

---

(١) ارتشت : لبست الرعاش وهو القمطر (٢) ما جئنا : يريد الذي

صفير الوشاح ، وملء الدرع خرعية إذا تأتي يكاد الخضر ينخزل (١)  
وسار الإسلاميون من الشعراء في نفس الطريق التي سار فيها القدماء إلا  
أنهم أكثروا من الكناية ، وتأثروا بصورتها في القرآن الكريم .

#### الكناية والعبارات البيانية

إن أول من تسكلم عن الكناية كلون بلاغي - فيما أعلم - هو أبو عبيدة  
معمر بن النخعي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ وقد فهم منها أنها كل ما فهم من الكلام ومن  
السياق ، من غير أن يذكر اسمه مريحاً في العبارة (٢) . ثم كشف النقاب عن  
دلالة الكناية على معناها ، وبين أن هذه الدلالة عقلية ، وليست لغوية ، أو  
وضعية وفي هذا يقول : « وهذا اللفظ في العبارة لم يوضع في الأصل عند أصحاب  
اللغة للدلالة على هذا المعنى ، وإنما فهمت تلك الدلالة من سياق الكلام بشيء  
من الرواية أو أعمال العقل (٣) » .

ثم أورد لها شواهد كثيرة منها قوله تعالى : « حق إذا كنتم في الفلك »  
وجرين بهم بريح طيبة ، ثم وضع الكناية في الآية الكريمة بقوله : « إنه  
رجوع من المخاطبة إلى الكناية ، والمرب تفعل ذلك ، ومنها قوله تعالى : « الحمد لله  
رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد ، وإياك نستعين » ومنها  
قوله تعالى : « كل من عليها » كناية عن الأرض ، وقوله تعالى : « حق  
توارت بالحجاب » كناية عن الشمس .

وذكر من شواهد ما أيضاً قول الفاتحة الذي يأتي :

يا ذا الزمة بالعلاء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد :

وإن من يتأمل هذه الشواهد التي أوردتها أبو عبيدة واستشهد بها على

(١) صفير الوشاح : ضخمه - الخرعية : الرخصة اللينة الحسنة الخلق -  
تأتي : ترفق أو تنهيا للقيام - ينخزل : ينثني أو ينقطع .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ١٣٦ (٣) المصدر السابق ص ١٣٦

للكفاية كما يراها يدرك أن بعضها يطلق على الكفاية في اصطلاح المتأخرين من علماء البلاغة ، وبعضها يطلق على ما يسمى عندهم بالانتفات ، ومن هنا يتضح لنا أن مفهوم الكفاية عند أبي عبيدة عام فهو ستر المعنى وراء أى لفظ آخر غير اللفظ الأصلى .

#### الملاحظ والكفاية

ثم تحدث عن الكفاية بعد أبي عبيدة « أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ » فأشار إلى أن الكفاية ، والتعريض لا يعملان في العقول محل الإنصاح والكشف ، ثم أودد للكفاية ببعض الشواهد منها قول أبي شريح بن الحارث الكندى : « الحدة كفاية عن الجهل » ، وقول أبي عبيدة : « المعارضة كفاية عن البذاء (١) » ، ثم قال : « وإذا قالوا فلان مقتصد فذلك كفاية عن البخل (٢) »

ويلاحظ على الجاحظ أنه لم يضع تعريفاً للكفاية ، وإنما كان حديثه عنها أنه رأى صورة كلامية - كما هى عادته - استقر فيها اللفظ الأصلى الموضوع للمعنى ، وظهر لفظ غيره فأطلق عليها الكفاية والتعريض ، كما يلاحظ عليه أيضاً أنه لم يفرق بين الكفاية والتعريض والذى يفهم من شواهد التى أوردها للكفاية وتعليقه عليها أنه لا يرى فرقاً بينهما وأن الاسمين عنده مترادفان .

#### المبرد والكفاية

ثم تحدث عن الكفاية بعد الجاحظ ، المبرد ، المتوفى سنة ٢٨٥ هـ فى كتابه « الكامل » (٣) فقسمها إلى ثلاثة أقسام :-

(١) القسم الأول ما كان للتفخيم والتعظيم ومنه اشتقت الكنية ، وهو

(١) انباء : كسحاب القدرة على الكلام (٢) البيان والبيان ص ٢٦٣

(٣) انظر الكامل ص ٢٠ ص ٦

أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه ، ووقعت في الكلام على ضربين :  
( ١ ) وقعت في الصبي على جهة التفاضل بأن يكون له ولد ، ويدعى بولده  
كناية عن اسمه .

( ب ) وفي الكبير ينادى باسم ولده صباه لاسمه .  
٢ - القسم الثاني ما كان للتغطية والتعمية كقول ذي الرمة :  
أحب المسكان الفقير من أجل أنني به أتقى باسمها غير معجم  
٣ - القسم الثالث الرغبة عن اللفظ الخسيس المتعش إلى ما يدل على  
معناه من غيره .

كقوله تعالى : « وقالوا الجنودهم لم شهدتم علينا » أي لغرضهم ، وقوله  
تعالى عن المسيح بن مريم وأمه : « كانا يأكلان الطعام » كناية عن قضاء  
الحاجة ، وقوله : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » كناية  
عن الجماع .

وبلاحظ على المبرد أنه لم يضع تعريفا للكناية ، وبلاحظ عليه أيضا أنه لم  
يفرق بينها وبين التعريض ، كما يلاحظ عليه أن تقسيم الكناية إلى الأقسام  
الثلاثة السالفة الذكر ليس جيدا ، لأنه لا يرجع إلى تقسيم الجنس إلى أنواعه ،  
وإعنا هذه الأقسام في الحقيقة ضروب لما تؤديه الكناية من فائدة في صناعة  
الكلام .

#### ١٠١١ المعنى والكناية :

ثم تحدث عن الكناية بعد المبرد « أمير المؤمنين عبد الله بن المأمون »  
المتوفى سنة ٢٩٦ هـ في كتابه « البديع » فقد لها فصلا خاصا تحت اسم « الكناية »  
والتعريض ، وأورد لها كثيرا من الشواهد الشعرية منها قول الشاعر في حجاج .

أبوك أب مازل للناس عوجا      لأعتاقهم تقرا كما ينقر الصقر  
إذا عوج الكتاب يوما سطورهم      فليس بعوج له أبدا سطر

وابن المعتز يمد كلامه من الكناية والتعريض فاما من محسنات الكلام .  
ويلاحظ على ابن المعتز أنه لم يفرق بين الكناية والتعريض ، بل كانت  
شواهدهما عنده مختلطة ولعله لا يرى فرقا بينهما شأنه في ذلك شأن من سبقه من  
العلماء ، كما يلاحظ عليه أنه لم يضع تعريفا لأحدهما . ومن هنا يتضح لنا أن  
ابن المعتز لم يقدم للكناية جديدا سوى الإكثار من الشواهد الشعرية .  
قدامة بن جعفر والكناية .

ثم تحدث عن الكناية « قدامة بن جعفر » المتوفى سنة ٣٢٧ هـ تحت اسم  
« اختلاف اللفظ والمعنى » وصماها « الإرداف » وعرفها بقوله : « أن يريد الشاعر  
الدلالة على معنى من المعاني ، فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك للمعنى » بل باللفظ  
يبدل على معنى هو مودنه وتابع له ، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع » (١) .  
ثم ساق لها بعض الشواهد الشعرية منها قول الشاعر :

بعودة مهوى القرط إما لنوقل أبوها وإما عبد شمس وهاشم

وقدامة وإن لم يتكلم - عن الكناية ، ولم يذكرها في كتابه ، بل تكلم عن  
صورة قرينة منها صماها « الإرداف » إلا أن تعريفه لتلك الصورة انبلاغية  
قريب جدا من مفهوم الكناية عند المتأخرين من علماء البلاغة ، وإن بعض  
الشواهد التي ساقها للإرداف تصالح أن تكون من شواهد الكناية عند المتأخرين  
من علماء البلاغة ، بل إن بعضهم جعلها من شواهد الكناية .

#### أبو هلال العسكري والكناية

ثم تحدث عن الكناية بمقدمة « أبو هلال العسكري » المتوفى سنة ٤٣٩ هـ  
في كتابه « الصناعتين » تحت اسم « الكناية والتعريض » فعرّفها بقوله :  
« وهي أن يكنى عن الشيء ويعرض به ، ولا يصرح على حسب ما حملوا باللعن

والتورية عن الشيء « (١) ثم استشهد لها من القرآن الكريم بقوله تعالى :  
« أو جاء أحد منكم من الغائط : أو لا مستنسا » فالغائط كناية عن قضاء  
الحاجة وملازمة النساء كناية عن الجماع ، ومن تشبى بما فعل المنبري إذا بحث  
إلى قومه .

بصرة شوك ، وصرة رمل ، وحنظلة . يريد جاء تسكم بنو حنظلة في عدد  
كثير كثرة الرمل وانشوك ومن الشعر بقول الشاعر في حدام .

أبوك أب مازال للناس موجما      لأعدتهم نقرا كما ينقر الصقر  
إذا عوج الكفاب يوما سطورهم      فليس بمعوج له أبدا سطر

وبلاحظ على أبي هلال في دراسته للكناية أنه ترسم خطا ابن المميز ، فنقل  
تسميته كما هي ، ولم يفرق بين التعريض والكناية على نحو ما فعل ابن المميز ،  
كما أنه استشهد ببعض شواهد .

#### ابن رشيق القيرواني والكناية

ثم تحدث عن الكناية بعد أبي هلال « بن رشيق القيرواني » المتوفى  
سنة ٤٦٣ في كتابه « العمدة » تحت اسم التورية فقال (٢) : « وأما التورية في  
أشعار العرب ، فإنما هي كناية بشجرة أو بيضة أو دابة أو ماهرة أو ماشاء كل ذلك  
كقول اللسيب بن علس :

دعا شجر الأرض داعيهم      لينصره الصدر والأناب

فكأنى بالشجر عن الناس حيث يقال في المنثور أيضا : جاء فلان بالشوك  
والشجر ، إذا جاء بحيش عظيم .

وقول معترة : بأشاة ما نقص لمن حلت له حرمت على وليتها لم تحرم  
وإنما ذكر حرمة أبيه ، وكان يهواه ، وقيل : بل كانت جاريتها ، فلذلك  
حرمها على نفسه .

وكقول امرئ القيس :

وبضعة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من مؤبها غير معجل  
فكفى بالبيضة عن حرأة ، وقوله تعالى « إن هذا أخى له نسع وتسعون نعمة »  
حيث كفى بالنعمة عن المرأة .

ثم سبق يستبين لنا أن من رشيقي يريد من الكناية معنى عاما هو ستر المعنى  
والإخفاؤه وراء لفظ غير لفظه .

ويؤيد عليه أنه لم يفرق بين الكناية والتعريض شأنه في ذلك شأن غيره  
من العلماء الذين سبقوه .

ومن هنا نستطيع أن نقول في طمشان إن ابن رشيقي لم يقدم للأسلوب  
الكنايى جديد يذكر فلقد ترسم خطأ من سبقه من العلماء ، واختلاف مهم في  
التسمية فقط .

ابن سنان الخفاجى والكناية .

ثم تحدث عن الكناية بعد ذلك « ابن سنان الخفاجى المتوفى سنة ٤٦٦ هـ  
في كتابه « سر الفصاحة » تحت « تأليف الكلام ، وجريانه على العرف العربى  
الصحيح » فقال (١) : « ومن هذا الجنس حسن الكناية عما يجب أن يكنى عنه  
في الموضع الذى لا يحسن فيه التصريح » .

ثم أورد لها كثيرا من الشواهد ، وصف بعضها بالحسن دون تعليل ، ووصف  
البعض الآخر بالتعجب مبيها السبب في ذلك .

فمن الشواهد التي أوردتها ووصفها بالحسن والجودة قول امرئ القيس :

فصرنا إلى الحصى ودق كلامنا      ورضت فذات صمية أى إذلال  
ثم كشف عن السكنية في البيت ووصفها بالحسن فقال : « لأنه كنى عن  
المباذمة بأحسن ما يكون من العبارة » .  
وقول أبي الطيب :

تدهى ما ادعيت من ألم الشوق      في إليها والشوق حيث النحول  
ثم علق على البيت بقوله « لأنه كنى عن كذنها فيما ادعته من  
شوقها بأحسن كناية ومن شواهد التي أوردتها للسكنية ووصفها بالقبح والرداءة  
قول أبي الطيب :

إني على شغفى بما في خمرها      لأعف عما في سراويلاتها  
وقول الآخر :

تعطين من رحليك ما      تعطين الأنف من الرغاب (١)  
ثم بين السكنية في البيت بقوله : « يكنى بهذا عن امتلاء رجلها وليتها »  
وقول الرضى يرقى واللهته :

كان ارتسكاضى في حشك مسببا      ركس الغليل عليك في أحشائى  
ثم يعلق على البيت بقوله : « بمعنى أن ارتسكاضه وهو جتين في بطنها كان  
مسببا لارتسكاض غليله في أحشائه لمونها » .

ثم يعلل فيجيب البيتين فيقول : « لأنك إذ تلمت هذين البيتين وجدتهما  
يخرجان من بيت امرئ القيس بحرى الضد ، وذلك أن امرأ القيس عبر عما  
يجب أن يكنى عنه من المباذمة ، فكنى بأحسن كناية ، وهذان عبرا عما لا يجب  
أن يكنى عنه فأتيا بالقافض يجب أن يكنى عنها (٢) » :

(١) الرغاب : الأرض اللينة الرامدة للدمعة (٢) سرانمضاحة ص ١٩٣ - ١٩٥

إن دراسة الخفاجي للكناية دراسة تتماز بالعمق والتحليل ، فقد جعل الكناية أصلا من أصول الفصاحة ، وشرطا من شروط البلاغة ، وهذا اتجاه لم يسبقه إليه أحد من علماء البلاغة كما أنه لم يكنف بإرسال الشواهد ، وبيان موضع الكناية منها كما فعل غيره من العلماء الذين سبقوه ، بل تعدى هذا إلى النقد ، فكشف عن الحسن الجيد من الكناية ، وأماط القمام عن القبيح الرديء منها ، مبيها السبب في ذلك ، وهذا أيضا اتجاه قد انفرد به دون غيره ممن سبقه من العلماء ، وهذه الدراسة التحليلية النقدية الفريدة إن دلت على شيء فإعنا تدل على ما يتماز به الخفاجي من صفاء الذهن ، ورهافة الحس ، ودقة الشعور والخبرة الواسعة بأساليب اللغة والقدرة على تمييز جيدا الكلام من رديئه ، وغنى من سميته إلا أنه يؤخذ عليه أنه لم يضع تعريفا للكناية ، كما أنه لم يكشف عن فائدتها وأثرها في الأسلوب ولم يفرق بينها وبين التعميض ، شأنه في ذلك شأن من سبقه من العلماء .

#### عبد القاهر الجرجاني والكناية .

ثم تحدث عن الكناية «عبد القاهر الجرجاني» المتوفى سنة ٤٧١ هـ وأماط القمام عن المراد بها فقل :

« والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره بالألفاظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يحجز إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيسمى به إليه ، ويحمله دليلا عليه ، كقولهم : هو طويل التجاد ، يريدون طوليل القامة ، وكثير الرماد يعنون كثير القرى » .

والتعامل في هذا النص يدرك أن عبد القاهر أراد أن يبين معناها ، ويضع لها تعريفا ، ويكشف عن مغزاها فإبان أنها إرادة المعنى بغير تعطفه لخاص به ، ولكن

بذكر معنى آخر من شأنه أن يردف المعنى المراد في الوجود ، وأن يكون إذا كان  
أفلا ترى أن القائمة إذا طالت طال التجدد ، وإذا كثر القرى كثر رمد القدر .

ثم وازن عبد القاهر بين الإفصاح والكفاية ، ورجع الأخيرة على الإفصاح  
فقال : « قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح ، والتوبيخ أوقع  
من التصريح ... إلا أن ذلك وإن كان على الجملة فإنه لا تطعن نفس العقول في  
كل ما يطلب للحل به حتى يبلغ فيه غايته ، وحتى ينفل الفكر إلى زواياه ، وحتى  
لا يبقى فيه موضع ومكان مساواة » (١) ثم أخذ يدل على مزيته على التصريح  
ويتفصيل أن سائلا يسأله ، هل زيادة الكناية على التصريح في ذات المعنى أو  
في إثباته ؟ فقال : (٢) ليس بالمعنى إذا قلنا : إن الكناية أبلغ من التصريح  
أنت حين كنت من المعنى زدت ، في ذاته ، بل المعنى أنك زدت في إثباته ، فجماعته  
أبلغ وآكد وأشد ، فأيست المزية في قولهم : جم الرماة أنه دل على قرى  
أكثر ، بل إنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ ، وأوجبه إيجابا هو  
أشد ، وادعيته دعوى بها أنطق ، وبصفتها أوثق .

وبفهم من كلام عبد القاهر هذا أن مزية الكناية على التصريح راجعة  
إلى إثبات المعنى لا إلى زيادته ، إذ الكناية فيها إثبات للمعنى بالدليل والبرهان  
بخلاف التصريح فلان فيه إثبات للمعنى من غير دليل ولا برهان ، وعما لا شك فيه  
أن إثبات المعنى مصحوبا بالدليل أطع من إثباته عاريا من الدليل .

ثم بين أن الكناية إما أن تكون واقعة في نفس الصفة المراد إثباتها ، وإما  
أن تكون للإثبات الصفة ، ومثل للأولى بقوله زياد الأعجم .

إن السامحة والمروعة والندى في قبة ضربت على ابن الحشر

(٢) دلائل الإعجاز ص ٥٨

(١) دلائل الإعجاز ص ٥٥

ثم علق عليه بقوله : « فإن الشعر إذا ثبت هذه المعاني والأوصاف  
حلالا المدح ، وضرب فيه ، فثبت أنه يمدح فيقول : « إن الشعر الممدوح  
و مدى المجموعة من شعره ، أو منصوصة عليه أو مستحصدة ، وما شا كل  
ذلك . هو صريح في ثبوت الأوصاف المذكورة من ، وعند إلى ما يرى  
من الكمية والتوزيع ، فمثل كونه في القمة مستدركه عليه عبارة عن كونها  
فيه ، وإشارة إليه . فخرج الكلام ذلك إلى مخرج إياه من الخرافة ، وبظهر  
فيه ما أتت ترى من الفجوة ، وبه « استدل هذه له صحة من الدين ، لما كان  
الإكلاما عقلا وحديثا حاذيا .

ومثل للثنية بقوله : « المحدثين ثوبه » « والكرم بين يديه » وعلق  
عليه بقوله : « لأن قتال هذا يتوصل إلى إثبات الحمد والكرم للمدح بأن  
يجمعه في ثوبه الذي يمس « ثم مثل « أخذ ثوبه في نوس :  
« حازه جود ولا حل دونه . ولكن بصير الجود حيث يصير

ثم علق على البيت بقوله : « كل ذات استعملت فيه الكناية لإثبات  
الصفة المدح بإثباته في المكان الذي يكون فيه ، وإني تزعم أنه بطرود الموضع  
الذي يحله .

ثم شرط عبد القاهر حسن تصوير الكناية وجها ، أن يوحدها الشانين  
بين ألفاظها ومعانيها ، ثم كشف عن مكان الكناية ، وبجمله اللفظ كما جعل  
الافصاح في عقوبة أو معنوية لا عطفية ، ودل على تقسيمه الكلام المصيح إلى  
قسمين :

١ — قسم تعزى للزينة فيه إلى اللفظ .

٢ — قسم تعزى فيه المزية إلى المعنى .

## وجعل السكناية من القسم الأول .

وحاصل كلام عبد القاهر في هذا المعنى ، أن المعنى السكناي لا يعرف من لفظ الكلام وإنما يعرف بالنظر اللطيف ، وحس الدقيق ، وذلك مرجعه للعقل .  
ولذلك فإننا ندلل على ذلك فيقول : « ألا ترى أنك لما نظرت إلى قولهم : « هو كثير رماد القدر » وعرفت منه أنهم أرادوا أنه كثير القري والضيافة لم تعرف ذلك من اللفظ ، ولكنك عرفت من رجوعك إلى نفسك ، وقولك : إنه كلام قد جاء عنهم في مدح ، ولا معنى للمدح بكثرة الرماد ، فليس إلا أنهم أرادوا أن يدلوها بكثرة الرماد على أنه تنصب القدر الكثير »  
ويطرح فيهم للقري والضيافة ، فإذا زادت كثرة الطيب في القدر ، كثر إحراق الخطب ، وإذا كثر إحراق الخطب تحنها ، كثر الرماد لا محالة .

ثم كشف عبد القاهر عن بلاغة السكناية وحسن تصويرها ، وبين أنها راجعة إلى طريق إثبات المعنى لا للمعنى نفسه قال : « فينبغي أن ليس الزايات لهذه الأجناس - السكناية والاستهارة والتبديل والحجز ، على الكلام المترك على ظاهره والمبالغة التي تحسب في أغص المعاني التي يقصد للتكلم بحبره إليها ، ولكونها في طريق إثباته لها وتبرزه إليها (١) » .

ويقول في موضع آخر : « فإنهم (٢) لا يعمنون المعاني التي يقصد للتكلم بحبره إليها كالتري والشجاعة والترادف ... وإنما يبنون إثباتها لما ثبت له ، ويخبر بها عنه ، فإذا جعلوا له مزية على التصريح ، لم يجعلوا تلك المزية في المعنى المسكوب عنه ، ولكن في إثباته فثبت له ، وذلك أنه نعلم أن المعاني التي يقصد الحبر لا تتغير في أنفسها ، أن يكفى عندها بيان سوانها ويترك

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٤٣ (٢) دلائل الإعجاز ص ٣٤٣ ، ٣٤٤

(٣ - الأسلوب السكناي)

الألفاظ التي هي لها في اللغة ، وإنما كان بإثبات شاهدها ودليها ، وما كان علم على وجودها .

وإذا لاشك فيه أن ذلك لا محالة أبلغ من إثباتها بنفسها لأنها على الأول يكون سبيلها سبيل الدهوى يكون معها شاهده

ودراسة عبد القاهر السكاكية دراسة فريدة ، وجديدة ، لم أرها لأحد من السابقين فقد خُطت السكاكية على يديه خطوات واسعة ، فقد عرفها ، وخرج تعريفها وبين فضائلها على التصريح ومزيتها على الإيضاح ، ووضع قواعدها وأقسامها ، وكشف النقاب عن حسنها وجمالها . ووضع شروط لهذا الحسن والجمال ، وبين موضعها ، ونوع دلائلها ، ثم أراح السائر عن بلاغتها بأسلوب جمع فيه بين الروعة الأدبية ، والدقة العلمية . وقد عالج كل هذه الجوانب البلاغية معالجة الخبير بأساليب اللغة العربية المتذوق لخلاصتها الفاهم لأهدافها وسرورها الواقف على أسرارها ودقائقها ، وقد امتازت دراسته بالعمق والتجليل ، ولأن كنت آخذ عليه عدم تبويبها ، ودراسة دراسة منهجية في مكان واحد ، تمكن الباحث أن يضع يده عليها بسهولة ، فقد تكلم عنها في ستة مواضع في كتابه « دلائل الإعجاز »

#### أبو يعقوب السكاكي والسكاكية

ثم تحدث عن السكاكية بعد عبد القاهر « أبو يعقوب السكاكي » النوفى سنة ٦٠٦ هـ في كتابه « المفتاح » تحت لأصل الذات من علوم البيان فعرّفها بقوله (١) : « هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو ملزومه ، فينتقل من المذكور إلى المنزول كما تقول : زيد طويل النجد ، فينتقل منه إلى ما هو ملزومه وهو طول القامة »

ثم علل لسبب هذه التسمية فقال : « وسمى هذا النوع كناية لما فيه من إحقاق وجه التصريح ، ودلالة كنى على ذلك لأن : كنى أى كيفما تركبت دارت مع معنى النفاذ . . . ومنه نكس في العدو ينكس إذا أوصل بإية مضاراً من حيث لا يشعر بها » ومنه نكايات الزمان لمصائبه المعة على بنيه من حيث لا يشعرون .

ثم فرق بين المجاز والكناية من وجهين :

الأول : أن الكناية لا تنافي لإرادة الحقيقة بل فقطع في قولك : « فلان طويل النجاد » أن تريد طول نجاهه من غير أن تكون أول مع إرادة طول قامته ، والمجاز ينافي ذلك فلا يصح في نحو « رعيها الميت » أن تريد معنى الميت ، والمجاز ملازم لفريقة معاندة لإرادة الحقيقة .

الثاني : مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى المزموم ، ومبنى المجاز على الانتقال من المزموم إلى اللازم .

ثم قسم الكناية من حيث المطوب م إلى ثلاثة أقسام :

الأول : كناية يطلب بها موصوف ، وجعلها لفظة ، وهي ما يدق في معنى من الصفات اختصاص موصوف معين عارض ، فذكرها متوصلاً إلى ذلك الموصوف كقولك : جاءني المضياف ، وتريد بهذا العارض من اختصاص المضياف بزيد .

وسيدة : وهي أن تتكلف اختصاص الكناية بأن تضم إلى لزوم آخر . وآخر حتى تلقى مجموعاً وصفياً ما ما من دخول كل معدا مقصودك . مثلاً أن تقول كناية عن الإنسان : حتى مستوى القامة عريض الأظفار .

الثاني : كناية يطلب بها نفس الصفة ، وجعلها أيضاً لفظة ، وهي ما تدق

ففيها إلى المطلوب من أقرب لوازمه كما تقول : « فلان كثير أضيافه » ، والكناية التي يطلب بها صفة قد تكون واضحة لا تحتاج إلى تأمل ، وقد تكون خفية تحتاج إلى تأمل ودقة فهم كقولك : « فلان عريض القفا » كناية عن البلاء .

وبعيدة : وهي التي ينتقل فيها من لوازم بواسطة لوازم متسلسلة كقولك : « فلان كثير زمام » لأنت تنتقل من كثرة الزمام إلى كثرة الجمر ، ومن كثرة الجمر إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور ؛ ومن كثرة إحراق الحطب إلى كثرة الطبخ ، ومن كثرة الطبخ إلى كثرة الأكلة إلى كثرة الضيفان إلى أنه مضياف .

الثالث : كناية تخصيص الصفة بالموصوف ، وهي أيضا تختلف في اللفظ فتارة تكون أضيعة ؛ وأخرى تكون ألطف .

ثم قسم الكناية تقسيما آخر باعتبار مضمونها ، فإن كانت عرضية كقوله تعالى في عرض حال المؤمنين « هدى المتقين القدين يؤمنون بالغيب » إذا فسر الغيب بالغيبية بمعنى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي - ﷺ - أو عن جماعة المسلمين ، على معنى هدى للمؤمنين يؤمنون عن إخلاص لا القدين يؤمنون عن اتفاق ، فإن كان التعبير كذلك ؛ وبهذا المعنى كان إطلاق اسم التعريض عليه متاسبا .

وإذا كان التعبير بينه وبين المسكن عنه بعد التوسط عدة لوازم كما في قولك « كثير الزمام » كان إطلاق اسم التلويح عليه متاسبا لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد .

وإن كانت المسافة بين الصورة والمسكن عنه قريبة مع شيء من انقضاء كما

في قولك : « عريض القفا » وعريض الوصادة ، كان إطلاق اسم الرمز عليها  
مناسبا ، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل التلميح قال الشاعر  
في هذا المعنى :

رمزت إليها مخافة من يحلها من غير أن تبدي هناك كلامها

ولأن لم يكن في الصورة شيء من الخفاء كان إطلاق اسم لإيحاء وإشارة  
عليها مناسبا كقول أبي تمام :

أبين فما يزن سوى كريم وحسبك أن يزن أبا سعيد

فإن الصورة واضحة في التعبير عن كرم أبي سعيد .

وكقول البحتري في التعبير عن جود ابن يحيى وكرمه :

سأت الفدى والجود مالي أراك تبدلني دلا بعز مزبد

وما بال ركن المجد أسمى مهديا فقالا : أصبنا بابن يحيى محمد

فقلت : فهلا متنا عند موته فقد كنا عبيده في كل مشهد

فقالا : أقمنا كي نمزى بفقد مسافة يوم ثم تنزه في غد

هذا ما قدمه السكاكي للكتابة في البلاغة العربية .

وإن من يتأمل دراسة السكاكي للكتابة ، يدرك أنها دراسة جافة قامت  
على الفلسفة والمنطق ، فقد اعتمد فيها السكاكي على العقل ، وبعد كل البعد عن  
الدراسة الأدبية التي تعتمد على الدوق والإحساس ، وتقوم على النقد والتحليل  
قد وجه كل اهتمامه وحرف كل جهده إلى التقسيمات والتفريعات ، وأغرق في  
المسائل الفلسفية والقضايا المنطقية ، حتى أصبحت هذه الصورة البيانية الجميلة في  
كلامه كأنها قضية منطقية ، أو نظرية هندسية ، أو مسألة حسابية ، تسكد المذهن

وترفق الذكر ، ليس فيها ما يحرك شعور ، أو يثير عاطفه . والساكنى عذره  
في ذلك ، فقد تأخر في دراسته للكتابة بثقافته الفلسفيه المنطقيه .

ولكننا مع كل هذا لا نجد فضل الساكنى على هذه الصورة البيانيه  
الجميله فقد كانت على يديه بعض الملاحظات التي تستحق التسجيل ، فقد عرفنا  
منها جامعة صالحة ، نعرف عن غيرها من سائر الصور البيانيه ، وإن كان قد  
أثر في هذا التعرف من سبقه من علماء البلاغه ، وبخاصه الإمام عبد القاهر  
الحرطاني كما أنه قد فرق بينها وبين المجاز ، وهذا عمل جليل قد انفرد به فلم  
يسبقه إليه أحد وبذلك نستطيع أن نقول في اطمئنان إن هذه الصورة الجميله  
قد تعددت معلميها وتميزت تميزاً كافياً عن غيرها على يد الساكنى . وإن كان  
قد ظلم وحذر حينما فقدناها للكثير من حسناتها وجمالها حين ألبسها ثوباً قائماً  
من الفلسفه والمنطق .

### ابن الأثير والكتابة

ثم نحدث عن الكتابة بعد ذلك « ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧هـ في كتابيه  
في مثل السائر والجامع الكبير ، فبين أصل اشتقاقها قول : (١) واعلم بأن  
الكتابة مشتقة من (٢) الستر يقال : سكت الشيء إذا سترته ، وأجرى  
هذا الحكم (٣) في لآلة ظ التي يستعمل بها المجاز بالحقيقه فتكون دالة على السائر  
والستور معاً .

### (١) المثل السائر ج ٣ ص ٥٢

(٢) تعبيره بأنها مشتقة من الستر فيه شيء من التجاوز إذ إنها مشتقة من السكتي

(٣) أي حكم الكتابة

بمعنى الستر

وقيل إنها مشتقة من الكنية التي يقول فيها أبو فلان - أي ما درست بأبي  
أو أم - فإذا نادينا رجلا اسمه عبد الله، وله ولد اسمه محمد فقلنا يا أبا محمد كان ذلك  
مثل قولنا : يا عبد الله ، ابن شئت ناديتاه بهذا ، وإن شئنا ناديتاه بهذا فكلاهما  
دال عليه ، وكذلك يجري الحكيم في الكناية . فإذا شئنا حملها على جانب  
المجاز ، وإن شئنا حملناها على جانب الحقيقة . لا أنه لا بد من الوصف الجامع  
بينها مثلا يصدق بالكناية ما ليس منها . ألا ترى في قوله تعالى : « إن هذا  
أخى له تصع وتسعون نعمة » ، وفي نسخة واحدة ، فكنى بالنعمة عن النسل (١) ،  
والوصف الجامع بينهما هو أدنيت ، ومن أحل هذا لا يلتفت إلى تأويل من  
تأول قوله تعالى : « وثبت لك فطر » أنه أراد « ثيب القلب على حكم الكناية  
لأنه ليس بين الثيب والقلب وصف جمع ، ولو كان بينهما وصف جامع لصح  
القاويل .

ثم استدل على اشتقاق الكناية من الكنى أو من الكنية بقوله : أما  
اشتقاقها من كنىت الشيء إذ سترته ، فإن المستور فيها هو المجرى ، لأن الحقيقة  
تفهم أولا ، وبسار - إنهما الفهم قبل المجز ، لأن دلالة اللفظ عايم أدلة وضعية  
وأما المجاز فإنه يفهم بعد فهم الحقيقة ، وإنما يفهم بالمظهر والفكر ، ولهذا  
يحتاج إلى دليل ، لأنه عدول من ظاهر اللفظ ، فالحقيقة أظهر والمجاز أخفى ،  
وهو مستور بالحقيقة .

وأما اشتقاقها من الكنية ، فلأن عبد الله في الصورة الماصية هو حقيقة هذا  
الرجل أي الاسم الموضوع إزارته أولا ، وأما أبو محمد فإنه طارى عليه . بعد عبد الله  
لأنه لم يكن له . إلا بعد أن صار له . فله محمد ، وكذلك الكناية قبل

(١) الأولى أن يقال كنى بالنعمة عن المراء

الحقيقة لها هي الاسم الموضوع أولاً في أصل الوضع ، وأما المجاز فإنه طارىء عليها بعد ذلك ، لأنه فرع - والفرع يكون بعد الأصل ، وإذ بعد ذلك الفرع للمناسبة الجامعة بيته وبين الأصل -

ثم عرف الكناية بقوله (١) : « وأما الكناية فقيل : هي اللفظ الدال على الشيء على غير الوضع بوصف جامع بين الكناية والسكينة عنه »

ولكن هذا التعريف لم يعجبه فأبطله لجواز أن يكون هذا للتشبيه فإنه اللفظ الدال على غير الوضع يحقق نجاحه بين المشبه والمشبّه به في وصف من الأوصاف -

ثم أورد تعريفاً لعماء الأصول الذين قالوا (٢) : « الكناية هي اللفظ المحتمل » يريدون بذلك أنه اللفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وخلافه ، وأبطله أيضاً بقوله : ليس كل لفظ يدل على المعنى وخلافه كناية ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

« إذا لم تمنع فافعل ماشئت » يدل على المعنى وعلى خلافه ، فأحله معصية : إنك إذا لم يكن لك وازع بزعتك عن الحياء فافعل ماشئت ، والآخر : إذا لم تفعل فعلاً يستعنى منه فافعل ماشئت ، وهذا ليس من الكناية في شيء ثم عرفها بتعريف ظن أنه جامع مانع فقال (٣) : « وإذا كان لأمر كذلك - تعد الكناية الجامع لها هو » أنهم كل نقطة ذات معنى يجوز حملها على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز »

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٥٥

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٣١

(٣) المثل السائر ج ٣ ص ٥٢ بتحقيق الدكتورين الحوفي وطبائنة

وبالتأمل في هذا التعريف نجد أنه وقيق الصلة بمعنى السكناية في الامة ، إذ  
إنها في أصل الوضع أن تسكلم بشيء ، وتريد غيره ، يقال : كنييت بكذا عن  
كذا ، فهي تدل على ما تسكمت به ، وعلى ما أردته في غيره ، وأنها مشتقة من  
السكنى بمعنى السائر

يقال : كنييت الشيء ، إذا سترته ، وأجرى هذا الحكم في الألفاظ التي  
يسر بها الجاهز بالحقيقة ، فتسكون دلة على السائر والمستور معا .

قم قسم ابن الأثير السكناية من حيث استعماله إلى :

١ - حسنة : وأورد لها كثيرا من من الشواهد (١) من القرآن والسنة ،  
ومنتور كلام العرب ومنظومه ومن هذه الشواهد قوله تعالى : « أولا مستر  
النساء » ثم علق عليه بقوله : « فإنه إن حل على الجماع كان كناية » لأنه  
ستر الجماع بلافظ اللس لدى حقيقته مصافحة الجسد الجسد ، وإن حل على  
اللامسة التي هي مصافحة الجسد الجسد كان حقيقة ، ولم يكن كناية ، وكلاهما  
يتم به للمعنى ، ولهذا ذهب الإمام الشافعي إلى أن اللبس هو مصافحة الجسد  
للجسد فأوجب الوضوء على الرجل إذا لبس المرأة ، وذلك هو الحقيقة في اللبس  
وذهب غيره إلى أن المراد باللبس هو الجماع ، وذلك مجاز فيه ، وهو السكناية .

ومن هذه الشواهد أيضا قوله تعالى : « وأورثكم أرضهم ودارهم وأموالهم  
وأرضاء لم تطؤها » ثم بين موضع السكناية في الآية السكناية بقوله : « والأرض  
التي لم تطؤها كناية عن مشاكح النساء »

ومن الشواهد النبوية التي أوردتها قول النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) المثل السائر ص ٦٢ ، ٦٥-٦٧ ، ٦٨-٦٩ تحقيق الدكتورين الحوفي وطبائنة

(٢) الأحزاب : ٢٧

« رويدك (٣) سواك بالقوارير » ثم بين موضع الكفاية بقوله : « يريد بذلك النساء ، فكفى عنهن بالقوارير »

ومن شواهد النبوية أيضا ما روى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله منك ، قال وما أهلكك ؟ قال : حوت رحلى البارحة ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - أقبل ، وأدير ، واتق لدبر والحیضة »

ومن شواهد التي أوردها من المنثور ما روي أن امرأة جاءت لعائشة رضى الله عنها - فقالت لها : أفيد جلى ؟ فقالت عائشة - رضى الله عنها - لا ، ثم عاق على الشاهد مبينا مريض الكفاية فقال : « أرادت المرأة أن تضع لزوجها شيئا يحميه عن غيرها ، أى تربطه أن يأتى غيرها ، فظاهر هذا اللفظ هو تقييد البجل ، وباطنه ما أرادته المرأة ، وفهمته عائشة »

ومن ذلك ما روى أن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - زوج ولده عبد الله رضى الله عنه فكنمت المرأة عنده ثلاث ليال لم يذن منها ، ولما كان مائة إلى صلاته ، فدخل عمرو بعد ثلاث ، فقال : كيف ترين بملك ؟ فقالت نعم البجل إلا أنه لم يقتش لنا كفا ، ولا قرب لنا مضجعا .

ثم بين ابن الأثير الكفاية في قول المرأة ووصفها بالحسن والجودة . قال :

(٣) قاله النبي صلى الله عليه وسلم للامام أ. ود اسعة - بحشة كان يحدو بالنساء ركابهن في بعض أسفاره - ويرتجز بنسب الشعر والرجز وراهن ، فأمره بالكف عن نسبه وحديثه حذار صيوتهن إلى غير الجميل ، وقيل إن الإبل إذا سمعت الحذاء أسرع في السير واشتدت فأزعجت الراكب فأتعبته فنهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة ، لأن العرب عادة قررر والنهاية لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٠

فقولها « لم يفش لنا كفا » ولا قرب لنا مضجعا « من الكناية التراء الظاهرة .  
ومن أمثال العرب التي أوردها ، واستشهد بها على الكناية قولهم : « إياك  
وحقيرة الملح » ثم بين الكناية في المثل بقوله : « وذلك كناية عن الرأء الحسنة  
في منبت السوء فإن عقيلة الملح هي الأؤلوة تكون في البحر فهي حسنة ، وموضعا  
ملح »

وقولهم : لبس له جلد النمر « كناية عن العداوة .

ومن شواهد التي أوردها من المنظوم قول أبي تمام في قصيدته التي يستعطف  
بها مالك بن طوق على قومه والتي مطلعها :

« أرض مصردة ، وأرض منجم (١) »

مالى رأيت ترابكم ببس الثرى مالى أرى أطولكم تقدم

ثم بين الكناية في البيت بقوله : « ببس الثرى كناية عن تنكر ذات البين  
تقول : ببس الثرى بينى وبين فلان ، إذا تنكر الود الذي بينك وبينه ، وكذلك  
تهدم الأطواد ، فإنه كناية عن خفة الحلوم ، وضيق العقول »

وقول أبي الطيب المتنبي في قصيدته التي يعتب فيها سيف الدولة بن حمدان  
التي مطلعها : « واحر قلباه عن قلبه شم »

وشر ما فتنته راحتي قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم

ثم علق على البيت بقوله : « بشير ذلك إلى أن سيف الدولة يستوى في  
المثال منه هو وغيره ، فهو البازي ، وغيره الرخة .

(١) مصردة : قليلة الرى والمنظر - منجم : يدوم عليها المطر .

٤ — قبيحة ، وأورد لها كثيرا من الشواهد (١)

ثم أشار إلى أن الكذابة وردت في غير اللغة العربية فقال (٢) : « ووجدتها في اللغة السريانية ، فإن الإنجيل الذي في أيدي النصارى قد أتى منها بالكثير ، وما وجدته في الكذابة في لغة الفوس أنه كان رجل من أسورة (٣) كسرى ، وخواصه ، قليل له : إن الملك يختلف إلى امرأتك ، فمجرها الملك وترك فراشها فأخبرت كسرى فدعاه وقال له : قد بلغتني أن لك عينا عذبة وأنت لا تشرب منها فما سبب ذلك ؟ قال أيها الملك يا بني أن الأسد يردّها ففقتّه فاستحسن كسرى منه هذا الكلام ، وأجزل عطاه »

ثم تحدث عن التعريض ، ورفق بيته وبين الكذابة فقال : « وأما التعريض فهو لدل على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي ، إليك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب : والله إني أحتاج ، وليس في يدي شيء ، وأما عريان ، والبرد قد آذاني ، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطالب ، وليس هذا اللفظ موضوعا في مقابلة الطالب لا حقيقة ولا مجازا ، إنما دل عليه من طريق المفهوم بخلاف دلالة الكذابة في أية صورة مما مضى ويؤكد هذه التفرقة بقوله أيضا . « (١) والتعريض أخص من الكذابة ، لأن دلالة الكذابة لفظية وضعية من جهة المجاز ، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا بالمجازي ، ثم علل لسبب تسميته بالتعريض فقال :

(١) المثل السائر ج ٣ ص ٧ وما بعدها (٢) المثل مسائل ج ٣ ص ٧٥

(٣) الأسورة جمع أسوار يضم الهمزة وكسرها : وهو القائد من الفرس أو هو الفارس

(٤) المثل السائر ج ٣ ص ٥٧ .

« وإعنا سمى التعريض لأن المعنى فيه يفهم من عرضه أى جانبه - وعرض الشيء جانبه -

ثم استرسل في توضيح الفرق بين السكناية والتعريض فقال : « كما أن السكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً ، فتأتى على هذا تارة ، وعلى هذا أخرى ، وأما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب ، ولا يأتى من اللفظ المفرد أبقتة ، والدليل على ذلك أن لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ، ولا من جهة المجاز ، وإنما يفهم من جهة البينوخ وإشارة ، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ، ولكنه يحتاج في الدلالة عليه إلى لفظ المركب »

وبالتأمل في كلام ابن الأثير نستطيع أن نقول في إيجاد إن الفرق بين السكناية والتعريض عند ابن الأثير يتلخص في ثلاثة أمور :

١ - التعريض اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازى والسكناية كل لفظة دلت على معنى يجوز حملها على جانبي الحقيقة والمجاز ، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز .

٢ - دلالة السكناية لفظية وضمنية من جهة المجاز ، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ، ولا المجازى ، لأن المعنى فيه يفهم من عرضه أى من جانبه .

٣ - السكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً فتأتى على هذا تارة ، وعلى هذا أخرى ، وأما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب ، ولا يأتى في اللفظ المفرد أبقتة .

هذا ما قدمه ابن الأثير للسكناية في البلاغة العربية ، وقد أتجه في دراسته

لما اتجهاها أديبا ، اعتمد فيه على ذوقه وحسه ، فأكثر من الشواهد الأدبية ، وخرجها تخريجا حسنا ، وحلها تحليللا جميلا ، جمع فيه بين الروعة الأدبية ، والدقة العلمية ، وبين الحسن منها ، والقبیح ، مع الإفلال من القواعد ، والابتعاد عن الإغراق في التفسيرات والتفريعات وبذلك نستطيع أن نقول إن ابن الأثير قد وضع أسس اتجاه جديد في البلاغة في زمن اتجهت فيه البلاغة على يد السكاكي إلى التقصيد والتتمين والإغراق في التفسيرات والتفريعات .

كما امتازت دراسته للكناية بالإحاطة والشمول ، فلم يكتف بدراستها في اللغة العربية كما فعل غيره من العلماء السابقين ، بل تعدى هذا إلى دراستها في اللهجة السريانية والفارسية وإن كنت آخذ عليه أنه لم يكشف القناع عن بلاغة الكناية ، ولم يحدثنا عن أثرها في الأدب العربية .

#### ابن أبي الأصمب والكناية

ثم تحدث عن الكناية « ابن أبي الأصمب المصري » المتوفى سنة ٦٥٤ هـ في كتابه « تحرير التعبير ، وبديع القرآن » فعرّفها بقوله : « هي عبارة عن تعبير المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن النجس بالطاهر ، وعن الفاحش بالعفيف (١) » هذا إذا قصد المتكلم نزاهة كلامه عن الموب ، وقد يقصد بالكناية غير ذلك ، وهو أن يعبر عن الصعب بالسهل ، وعن البسط بالإيجاز ، أو يأتي للتمعية والإلفاز ، أو للسر والصفانة « ثم أورد لها كثيرا من الشواهد من القرآن ، والحديث ، وجيد الشعر لجاهليين والمحدثين مخرجا تلك الشواهد ، مبينا موضع الشاهد فيها .

ومن شواهد التي أوردها قوله تعالى : « كَانَا يَا كَلَانَ الطَّعَامِ » ثم بين  
الكناية في الآية الكريمة بقوله : « كَذَابَةٌ عَنِ الْخَلْقِ لِأَنَّهُ مُلَازِمٌ أَكْلِ  
الطَّعَامِ (١) » .

وقوله تعالى : « أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمُ مِنَ الْغَائِطِ » ثم علق على الآية بقوله :  
« لِأَنَّهُ (٢) الْمُنْتَقِضُ مِنَ الْأَرْضِ الَّذِي يَقْصِدُ قِضَاءَ الْحَاجَةِ . فَسَيُخْلِطُ  
بِاسْمِ مَوْضِعِهِ »

وقوله تعالى : « وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُ وَهِيَ سَرَأٌ » كناية عن الجماع ، وقوله  
تعالى : « وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ » كناية عن المباشرة .

ودراسة ابن أبي الإصبع المصري للكناية دراسة جديدة وفريدة ، فهي  
دراسة أدبية رائعة جميلة ، تهدف إلى الكشف عن الفوائد الأدبية التي تسكن  
في الصور البلاغية ، فإن ابن أبي الإصبع درس الكناية على أنها صورة أدبية ،  
وطبق من طرق التعبير الفني الجميل التي يسلكها الأديب للتعبير عما يحول  
في نفسه من المعاني ، ويحיש في صدره من الخواطر ، وقد استطاع بمهارته  
الأدبية ، ودقته الفنية أن يكشف الفناع عن فوائد الكناية ، وحصرها فيها  
بلى : -

١ - التعبير عن المعنى القبيح باللفظ الحسن

٢ - التعبير عن التمجيس بالطاهر ، وعن القباحة بالعفيف

٣ - التعبير عن الصعب بالسهل

٤ - الإيجاز

٥ - السخرية والعبارة

٦ - التورية والإيجاز

والمعجب أن هذه الدارسة الأدبية لرأفة التي أنجبه إليها ابن أبي الإصبع تأتي في وقت قد أجهت فيه «بلاغة على يد السكاكي إلى التعميد والفنمين، ولكن لاغربة ولاعجب أن يتجه ابن أبي الإصبع إلى هذه الدارسة، فهو أديب مطبوع، وناقذ فذ، قد حباه الله ذوقاً رقيقاً، وذهناً صافياً، وحساً مرهفاً، وخيالاً خصباً، كما أنه نشأ في البيئة المصرية الجميلة الساحرة، والتي خلقت أرضها الطيبة من الفلاسفة والمتنطقين.

وهذا الأنجاه الأدبي، وإن كان قد وضع أسسه ابن الأثير كما سبق أن أشرنا إلى ذلك أثناء حديثنا عن الكناية عند ابن الأثير، إلا أن ابن أبي الإصبع لم يقف عند حد الأسس التي وضعتها ابن الأثير، بل تعدى ذلك إلى شيء جديد هو الكشف عن الفوائد الأدبية التي تسكن في الصور البلاغية، وهذا ما لم يكشفه الجديد قد غاب عن ابن الأثير، وتوصل إليه ابن أبي الإصبع وانفرد به فهو من جديده الذي لم يسبق إليه.

عز الدين بن عبد السلام والكناية.

ثم تحدث عن الكناية للشيخ عز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ في كتابه «الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المعجاز» فقال (١): «التنوع

---

(١) انظر ص ٨٥ من كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المعجاز

السادس عشر الكذابات كما جاء في قول إحدى النسوة في حديث أم زرع  
« زوجي رفيع الساد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من النار »

ثم أخذ في بيان الكذابات في الحديث فقال : « كنت برقة عمادة عن  
شرفه ومفرقة ، لأن من طالت قامته طال نجاد سيفه ، وكنت بعظم رماده  
عن كثرة ضفافته » وإطاماه ، لأن الرماد لا يعظم إلا عن كثرة الطبخ والإحراق  
للحطب الكثير ، وكنت بقرب بيته من المجلس من كرمه لأن البغلاء كانوا  
يملكون بيوتهم عن المجلس كيلا يستقيمون الأضياف منه وكانوا ينزلون في  
المواضع المنخفضة كيلا يراهم الضيفان فيأتونهم ، ولذلك قال طرفة :

واست بحلال التلاع مخافة      ولسكن متى يسترفد القوم أرقدا (٢)

ثم بين أن الكذابة ليست من المجاز فقال : « والظاهر أن الكذابة ليست  
من المجاز لأنها (٢) استعملت اللفظ فيما وضع له ، وأرادت به الدلالة على غيره  
ولم تخرجه عن أن يكون مستعملا فيما وضع له ، وهذا شبيه بدليل الخطاب في  
مثل قوله تعالى : « فلا تفل لها أف » وفي مثل نهيه عن النضمية بالموءاة  
والمرجاء »

وهذه الشئح عز الدين بن عبد السلام - كذابة تدير في نفس الانجاء  
الأدبي الذي وضع أسسه ابن الأثير ، ونعمه ، وجدد فيه ابن أبي الإصمغ المعري  
فقد أورد حديث أم زرع وكشف عما فيه من الكذابات بأسلوب جمع فيه  
بين الروعة الأدبية والدقة العلمية إلا أنني أخذ عليه أنه لم يضع تعريفا للكذابة

(٢) التلاع : جمع تلعة ، وهي من الأضداد يطلق على الارتفاع والانخفاض  
(٣) أي أم زرع .

تتميز به عن غيرها من الصور البلاغية أنه لم يحدثنا عن فوائد الكناية كما فعل ابن أبي الإصبع المصري من قبله كما أخذ عليه قلة الشواهد الأدبية فقد اكتفى بمحدث أم زرع وكنت انتظر منه وهو الأديب الأريب والملم المدقق والناقد الخبير أن يكثر من الشواهد الأدبية وأن يتناولها بالنقد والتحليل مبينا ما فيها من الجودة والحن أو الرذالة والقبیح معللا أسباب ذلك .

### النويزى والكناية .

ثم تحدث عن الكناية بعد الشيخ عز الدين بن عبد السلام «النويزى» (١) المتوفى سنة ٧٣٣ هـ في كتابه «نهاية الأرب» فصرها بقوله (٢) : « أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ للوضوح له في الامة ، ولكن يحىء إلى معنى هو ثابته وردنه في الوجود ، فيؤمى به إليه ، ويجعله دليلا عليه ، ثم أوردنا بعض الشواهد الأدبية من القرآن الكريم والشعر ، ومن الشواهد التي أوردده قوله تعالى : « إن الدين كبروا بعد إيمانهم ، ثم ازدادوا كفرا » ، لن نقبل ثوبتهم ثم كشف عن الكناية في الآية الكريمة بقوله : « كفى بنفى قول النويزى عن الموت على الكفر »

ومن الشواهد الشعرية التي أوردناها قول الشاعر :

بيدة مهوى للقرط إما التوفى      أبوها وإما عبد شمس وهاشم

ثم بين موضع الكناية في البيت بقوله : « أراد أن يذكر جيدها ، فأتى

(١) هو الامام البعامة شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد عبدالنابم البكرى التيمى اقرشى المعروف بالنويزى المولود بقرص سنة ٦٧٧ هـ والمتوفى بالقاهرة سنة ٧٣٣ هـ

(٢) نهاية الأرب ٧٣ - ٥٩

بتابعه ، وهو بعد مهوى القوط »

ومن شواهد الشعرية أيضا قول ليل الأختلية :

وغرق عنه القميص نخاله وسط البيوت من الحياء سقيا

ثم بين الكناية في البيت بقوله : « كنت عن جوده بخرق القميص من  
جذب العفة له عند ازدحامهم لأخذ المطاء »

ثم ذكر أن الكناية قد تكون في المثبت كما في الأمثلة السابقة ، وقد  
تكون في الإنثبات ثم عرف الكناية في الإنثبات بقوله : « وهي ما إذا حاولوا  
إنثبات معنى من المعاني لشيء فيتركون التصريح بإنثباته له ، ويشبهونه لما له به  
تعلق » ثم مثل لها بقولهم : « المجد بين ثوبه ، والكرم بين برديه »  
وقول زياد الأعجم :

لن الروء والساحة والفدى في قبة ضربت على ابن الحشرج

ثم بين أن الكناية ليست من المجاز فقال (١) : « واعلم أن الكناية ليست  
من المجاز لأنت تعتبر في ألفاظ الكناية معانيها الأصلية ، وتفيد بمعناها معنى  
ثانيا هو المقصود فتريد بقولك : كبير الرماد حقيقة ، ونجس ذلك دليلا على  
كونه جوادا ، فالكناية ذكر الرديف ، وإرادة الردوف »

ثم فرق بينها وبين التعريض بأن التعريض : تضمين ، الكلام دلالة ليس  
لها ذكر كمثلك : « ما أقيح البخل » لمن تعرض ببخله (٢)  
والنويري في دراسته للكناية قد تأثر بالشيخ عبد القاهر الجرجاني ، فتعريفة

الكناية هو تعريف عبد القاهر ، وشواهد من شواهد ، كما تأثر في دراسته أيضا بالشيخ عز الدين بن عبد السلام ، فقد غنى أن تكون الكناية من المجاز متابعا في ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وقد علل غنى المجاز عنها بنفس التماثل الذي ذكره عز الدين بن عبد السلام مع الاختلاف في الصياغة وبذلك نستطيع أن نقول إن الفريرى لم يضاف إلى الكناية الجديدة يذكر فقد ترسم خطأ الشيخين عبد القاهر الجرجاني وعز الدين بن عبد السلام وإن أخذ عليه قلة الشواهد الأدبية مع أنه أديب ذوقه قد منحه الله ذوقا رقيقا ، وذهنا صافيا ، كما أخذ عليه عدم تعلقه على بعض الشواهد التي أوردها ، وعدم تناوله هذه الشواهد بالفتد والتعليل .

#### الخطيب القزوينى والكناية

ثم تحدث عن الكناية « الخطيب القزوينى » المتوفى سنة ٧٣٩ هـ في كتابه « الإيضاح » فعرّفها بقوله (١) : « الكندية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ »

ثم فرق بينها وبين المجاز ، بأن الكناية يجوز فيها إرادة المعنى مع إرادة لازمة ، والمجاز لا يجوز فيه ذلك ، لأنه ملزوم قرينة معادلة لإرادة الحقيقة ، وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء ، فلا يصح في قولنا : في البيت أسد « أن نريد معنى الأسد من غير تأويل .

ثم قسم الكناية بحسب المطلوب بها إلى ثلاثة أقسام : —

١ — قسم يطلب به موصوف

(١) انظر ص ٢٣٩ من كتاب الإيضاح

٢ — قسم يطلب به صفة

٣ — قسم يطلب به نسبة

ثم قسم كل نوع إلى قريب وبعيد

وقد ترسم في هذا التقسيم خط السكاكي .

ودراسة الخطيب القزويني للكناية تسير في الاتجاه الذي رسمه السكاكي ،  
والذي مزق به أوصال البلاغة العربية ، وسلمها حسنها وجملها ، وأفقدناها ما  
ورواها فهو لم يزد في دراسته للكناية عما قاله السكاكي ، ولم يقدم جديدا  
يستحق الذكر والتسجيل

#### العلوي والسكناية :

ثم تحدث عن الكناية بعد الخطيب القزويني « أمير المؤمنين يحيى بن  
حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي البجلي » المتوفى سنة ٧٤٩هـ ، في كتابه « الطراز  
المتضمن لأسرار البلاغة ، وعلوم حقائق التبريل » فمأط اللام عن منزلتها  
في البيان العربي فقال : « اعلم أن السكناية واحد من أودية البلاغة وركن من  
أركان الجواز (١) »

ثم كشف عن حقيقتها في لسان أهل اللغة فقال : « السكناية مصدر كنى  
بكنى وكنيته تسكنيه حسنة ، ولأمها واو ، وياء يقال : كناه بكنيه ،  
ويكنوه (٢) »

ثم كشف أيضا عن حقيقتها في لسان أهل اللغة فقال : « السكناية

مقولة على ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره ، وأنشد الجوهري لأبي زياد :

وإني لأستكون عن قنور بغيرها وأعرب أحيانا بها فأصريح

والكنية بالضم ، والكسر في فائها ، واحدة الكنى ، واشتقاقها من  
الستر يقال : كنىته الشيء . إذا سترته ، وإنما أجرى هذا الاسم على هذا  
الفروع من الكلام لأنه يستر معنى ، ويفضو غيره (١) .

ثم كشف عن حقيقتها عند علماء البيان فذكر تعريفاتهم ، ودقشها مناقشة  
الأدب المتذوق والعالم المدقق ، فذكر بحريف للشيخ عبد القاهر لها وهو أن  
يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع في اللغة ، ولكن  
يجيء إلى معنى هو زليه وردفه في الوجود ، فيسمى به إليه ، ويجعله دليلاً  
عليه .

وبين أنه فاسد لأمر ثلاثة :

١- الأمر الأول : أن قوله « ناليه » إما أن يريد به مثله فهو خطأ فإن  
الكتابة ليست بمثالة لما كان من اللفظ الذي ترك بالكتابة ، وإما أن يريد  
بمعنى آخر فيجب ذكره حتى نختار فيه إما بصحة أو فساد .

٢- الأمر الثاني : أن قوله : « فيومي » به « ليس بخبر الإيماء إما أن  
يكون على وجه الحقيقة أو على وجه المجاز ، فلفظه الإيماء محتمل لما ذكرناه ،  
وليس في الإيماء إشارة إلى أحد الوجهين ، فلا بد من بيان أحدهما ، وإلا كان  
كلاماً مجحولاً لا يفيد فائدة وهو محتاج لصناعة الحدود .

٢- الأمر الثالث : أن هذا التعريف ليس مانعا ، لأنه يدخل الاستعارة في الكناية لأن قولك : « رأيت أسدا واقفت بحراء قد تركت فيه اللفظ الموضوع للشجاعة والكرم ، وأنت بتأليهما ، وأومت إنيه (١) »

ثم ذكر تعريف ابن الأثير الذي حكاه عن بعض علماء البيان ، وارتضاه وهو « اللفظ الدل على الشيء بغير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه » وأبطله بثلاثة أمور :

١- الأمر الأول : أن هذا يبطل بالتشبيه فإنه اللفظ الدل على غير الوضع الحقيقي في وصف من لأوصاف كنولنا : « كأن زيدا الأسد » فأدخل فيه ما ليس منه .

٢- الأمر الثاني : أن الكناية لا تنفقر إلى جامع ، فإنه إذا قلنا : « فلان كثير رماد القدر » وجمنا هذا دلالة على كونه كريما ، فهو غير محتاج إلى ذكر جامع ، فاعتبار ذكر الجامع في كناية بغير جها عن حقيقة وضمها ، ويبطل فائدتها .

٣- الأمر الثالث : أنه ذكر الكناية والمكنى عنه في حد الكناية ، وهذا فيه تزيير الشيء بنفسه ، وإحالة يأخذ المحدثين على الآخر فهم وباطل (٢) .

ثم ذكر تعريف ابن سراج المكنى في كتابه المصباح وهو ترك التصريح بـ « شيء إلى مساويه في اللزوم لينتقل منه إلى اللزوم »

(١) الطراز من ٢٦٧

(٢) طراز من ٣٦٩

وبين فسادهما بأمرين :-

١ - الأول : أن ما ذكره حاصل في الاستمارة في نحو قولك : « رأيت الأسد وقيت البحر » فإنك تركت التصريح بقولك : « لقيت الشجاع » إلى لفظ « الأسد » والكريم إلى لفظ « البحر » والسكتة مخالفة للاستمارة في ما هيئها ، فلا يخلط أحدهما بالآخر .

٢ - الثاني : أن قوله : « إلى مساوية في الزوم لينتقل منه إلى الزوم » إن أراد بالزوم ، المدلول فذكر المدلول أوضح ، فلا حاجة إلى المدلول عنه ، وإن أراد به معنى آخر غير المدلول فهو خطأ ، لا فائدة فيه لأنه لا مشاركة بينهما ، إلا في مدلولها لا غير ، ولهذا كان كناية عنه . ثم التمس له العذر لأنه كان مولما بممارسة المنطق ، ومما لفته فتلبت عليه عباراته (١) .

ثم ذكر تعريف حسنة ابن الأثير عن بعض الأصوليين وهو « لما اللفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه »

وبين فسادهما بأمرين :

١ - الأول : أن ما قاله يبطل باللفظ المشترك في نحو قولك : « قرء ، وشفق » فإن كل واحد منهما دل على معنى ، وعلى خلافه .

٢ - الثاني : أن ما ذكره يبطل بالحقيقة والحجاز ، فإن قولنا « ثأرد وبحر » كما يدل على ما وضع له بالحقيقة فهو دل على ما استعمل فيه من المجاز فيلزم أن يسكون ما ذكرناه من الكناية وهو باطل (٢) .

( ١ ) الطراز ص ٢٧٠

( ٢ ) الطراز ص ٢٧١

ثم ذكر تعريف ابن الخطيب الرازي في كتابه « نهاية الإيجاز » وهو  
« اللفظ الدال على معنى مقصود مع ملاحظة معناه الأصلي » .

وأبطله بأمرين : —

١ — الأول : أنه فاسد بالاستعارة ، فإنها دالة على معنى مقصود مع ملاحظة  
معناه الأصلي ، فيلزم على ما قلناه دخوله في الكناية .

٢ — الثاني : أنه يبطل بالحقيقة مع مجازها ، فإنه ما من مجاز يدل على  
معنى ، إلا وهو دال على حقيقته ، وفي هذا دخول أنواع  
المجاز في الكناية وهذا باطل (١)

ثم ذكر تعريف ابن الأثير نفسه وهو « كل لفظ دال على معنى ، يجوز  
حملة على جانبي الحقيقة والمجاز ، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز » .

وأظهر قصده بثلاثة أمور :

١ — الأول : أن قوله : « معنى يجوز حملة على جانبي الحقيقة والمجاز »  
خطأ لأن المعنى الواحد ، لا يجوز أن يكون حقيقة ،  
ومجازاً ، لاجتماع الفتى والإثبات فيه ، لأنه يصير حقيقة ، ليس حقيقة ، وهو  
باطل ، بل الحق في الكناية أنها معنيان ، أحدهما حقيقة ، والآخر مجاز  
وظاهر كلامه أنها معنى واحد .

٢ — الثاني : أن ما ذكره يبطل بالاستعارة في مثل قولنا : « فلان أسد »  
وبحر « فإن قولنا : أسد كما يدل بحقيقته على السبع ، فهو دال بمجازة على

الشجاعة فيجب دخوله في حد الكناية .

٣ - الثالث : أن قوله : « بوصف جامع بين الحقيقة والبيان » يدخل فيه التشبيه فإنه لا بد فيه من اعتبار أمر جامع بخلاف الكناية ، فإنها لا تنفقر إلى ذكر الجامع ، فاعتبار قيد لوصف الجامع يدخلها في التشبيه ، ويخرجها عن حقيقتها (١) .

ثم عرف الكناية بقوله : (٢) : « هي اللفظ الدال على معنيين مختلفين حقيقة ومجازاً من غير واسطة لا على جهة التصريح » .

ثم شرح التعريف فقال : « فنقولنا : « اللفظ الدال » يحترز به عن التصريح فإنه ليس مدلولاً عليه بلفظ ، وإنما هو مفهوم من جهة الإشارة والفحوى ، وقولنا : « على معنيين » يحترز به عما يدل على معنى واحد ، فإنه ليس كناية ، ويدخل فيه اللفظ المتواطىء كرجل وفرس ، واللفظ المشترك كقولنا : « قرء وشفي » فإنها دالان على معنيين ، وقولنا : « مختلفين » يخرج عنه المتواطىء ، فإن دلالاته على أمور متماثلة ، وقولنا : « حقيقة ومجازاً » يحترز به عن اللفظ المشترك ، فإن دلالاته على ما يدل عليه من المعاني على جهة الحقيقة لا غير ، وقولنا : « من غير واسطة » يحترز به عن التشبيه فإنه لا بد فيه من أداة التشبيه إما ظاهرة وإما مضمرة ، وقولنا : « على جهة التصريح » يحترز به عن الاستمارة فإن دلالاتها على ما يدل عليه من جهة صريح ، إما من غير قرينة ، كدلالة الأسد على الحيوان ، وإما مع القرينة كدلالة الأسد على الشجاع ، فكلاهما مفهوم من جهة التصريح بخلاف الكناية ، فإن الجمع ليس مخرجاً من قوله تعالى :

( ١ ) الطراز ص ٣٧٣ .

( ٢ ) الطراز ص ٣٧٤ .

« فأتوا حرثكم ، وإنما هو مفهوم على جهة التبع .

ثم فرق بين الكناية والاستعارة بثلاثة أمور (١) : —

١ — الأمر الأول : الاستعارة عامة ، والكناية خاصة ، فمכל استعارة كناية ، وليس كل كناية استعارة .

٢ — الأمر الثاني : الكناية يتعاضدها أصلان ، حقيقة ومجاز ، وتكون دالة عليهما معاً عند الإطلاق ، بخلاف الاستعارة ،

فإن لفظ « الأسد » يستعمل في « السبع » فيكون دالا عليه ، ثم يستعمل في « الشجاع » فيكون دالا عليه ، فأما الكناية فهي دالة على الحقيقة والمجاز جميعاً عند الإطلاق .

٣ — الأمر الثالث : أن لفظ الاستعارة صريح . ودلائلها على ما نقل عليه من الحقيقة والمجاز على جهة التصريح ، بخلاف الكناية فإن دلائلها على معناها للمجازى ليس من جهة التصريح ، بل من جهة الكناية .

ثم فرق بين الكناية والتعريض من أوجه ثلاثة (٢) : —

١ — الوجه الأول : أن الكناية واقعة في المجاز ومعدودة منه ، بخلاف

التعريض فلا يعد منه ، وذلك من أجل كون التعريض

مفهوماً من جهة القرينة ، فلا تعلق له باللفظ ، لا من جهة حقيقة ، ولا من مجازه

٢ — الوجه الثاني : أن الكناية تقع في المفرد والمركب ، بخلاف التعريض

فإنه لا موقع له في باب اللفظ المفرد .

( ١ ) الطراز ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

( ٢ ) الطراز ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

٣ - الوجه الثالث : أن التعريض أخفى من السكناية ، لأن دلالة السكناية مدلول عليه من جهة اللفظ بطريق المجاز ، بخلاف التعريض فإن دلالاته من جهة القربة وإشارة ، ولاشك أن كل ما كان اللفظ يدل عليه فهو أوضح مما يدل عليه باللفظ ، وإن علم بدلالة أخرى .

ثم استدلل على الفرق الثالث بماورد عن علماء الشريعة في التفرقة بين صريح القذف وكتابتة وتعريضه ، فقال : « ومن أجل هذا فرق علماء الشريعة بين صريح القذف وكتابتة وتعريضه ، فوجبوا في الصريح من القذف الحد مطلقاً في قولك : يا زاني وأوجبوا في كتابته الحد إذا دوى به في مثل قولك : يا فاعلاً بأمه ، وبمفعولاً به ولم يوجبوا في التعريض الحد في مثل قولك : « يا ولد الخلال » وماذك إلا لأجل أن التصريح والكتابة بدلان على القذف من جهة اللفظ إما بالحقبة أو بالمجاز .

ثم أورد للسكناية كثيراً من الشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ومشهور كلام العرب ومنظومه ، وبين ما تشتمل عليه هذه الشواهد من الكذابات وحللها تحليلًا أدبيًا رائعاً (١) ، يدل على معرفة تامة بالأصاليب العربية ، وخبرة واسعة بأسرار الكلام ودقائقه ، وأهدافه ومقاصده .

إلا أنني لاحظت عليه أن أكثر شواهد قد نقلها من المثل السائر لأمير الأثير .

ودراسة الملعوى للسكناية دراسة تمتاز بإحاطة والشمول ، وتقوم على العقل ، وتعتمد في أغلب الأحيان على الفلسفة والمنطق ، فقد اطلع على جهود القدماء ،

(١) انظر الطراز من ص ٤٠٠ إلى ص ٤٢٦

تم تناولها بالزند الفلسفى المنطقى ، ثم أدلى بدلوها فى النهاية ، فوضع للكتابة تعريفًا جامعًا مانعًا ، يدل على تمكنه من المنطق ، وخبرة القامة بمحدوده ورسومه وقضاياها ، ثم فرق بين الكتابة والاستعارة ، وهذا من جديد الذى لم يسبق إليه ، فلم نر أحدا من القدماء قد تعرض للفرق بينهما ، وإن كانت الفروق التى ذكرها تبدو عليها المصطفة المنطقية الفلسفية ، ثم فرق بين الكتابة والتعريف ، وقد سبه إلى ذلك ضياء الدين بن الأثير كما أشرت إلى ذلك أئمة حديثى عن الكتابة عند ابن الأثير .

وإن من يتأمل دراسة المسمى للكتابة يرى أنها لاتسير فى الاتجاه الأدبى الخالص ولا الكلامى ، البحت ، ولسكنها تسير فى اتجاه جديد يمتزج فيه الاتجاهان الأدبى والكلامى ، وإن كان المنهج الكلامى أكثر وضوحا فى دأسته من المنهج الأدبى . فقد ركز كل اهتمامه على نقد تعريفات السابقين ، وأهمل الفاحية الجمالية .

وبذلك نستطيع أن نقول إن الجديد الذى قدمه المولى للكتابة ينحصر فيما يلى :

١ - الفرق بين الكتابة وبين الاستعارة .

٢ - وضع تعريف جديد للكتابة يختلف عن تعريفات السابقين ، ويميزها تمييزا تاما عن جميع ما عداها من الصور البلاغية .

٣ - الاتجاه الذى سلكه فى دراستها اتجاه يكاد يكون جديدا دقوه مزيج من الاتجاهين الأدبى والكلامى .

و: وَخَذَ عَلَيْهِ أَتَقَلَّمَ يَمِينُ لَنَا الْحَسَنَ مِنْهَا وَالْقَبِيحَ وَالْجَبْدَ وَالرَّدَى ، نَلِ

اكتفى بتتل شواهد ابن الأثير التي أوردها في كتابه المثل السائر ولم يعلق عليها  
أوتدافعها بالتعليل والنقد الأدبي ، كذلك يؤخذ عليه أن تعريفه الذي ذكره  
في النهاية وإن كان جامعاً مانعاً ، إلا أنه أهل أثر العاطفة في رسم الصورة  
الجمالية للكتابة .

### الزركشى والكتابة :

ثم نحدث من الكتابة « الزركشى » المتوفى سنة ٧٩٤ هـ في كتابه « البرهان  
في (١) علوم القرآن » فذكر أنها عند علماء البيان « أن يريد المتكلم إثبات معنى  
من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة ، ولكن يحىء إلى معنى  
هو تاليه وردفه في الوجود ، فيسمى به إليه ، ويجمعه دليلاً عليه ، فيدل على  
المراد من طريق أولى » .

ثم ذكر أقوال العلماء في أنها حقيقة أو مجاز فقال : « قال الطرسوسى (٢)  
في العدة : « قد اختلف في وجود الكتابة في القرآن ، وهو كالتخالف في  
المجاز ، فن أجاز وجود المجاز فيه أجاز الكتابة ، وهو قول الجمهور ، ومن  
أنكر ذلك أنكر هذا »

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : « الظاهر أنها ليست بمجاز ، لأنك  
استعملت اللفظ فيما وضع له ، وأردت به الدلالة على غيره ، ولم تخرجه عن أن  
يكون مستعملاً فيما وضع له ، وهذا شبيه بدليل الخطاب في مثل قوله تعالى :  
« فلا تقل لها أف » .

(١) انظر ص ٣٠١ من ٢ من وكتاب البرهان في علوم القرآن  
(٢) هو نجم الدين إبراهيم ابن علي الطرسوسى المتوفى سنة ٧٥٨ هـ ذكره  
صاحب كتاب الفنون :

ثم ذكر أسباب (٣) السكاية ، وأجلها فيما يلي : —

١ — التنبيه على عظم القدرة كقوله تعالى : « مر أتى خلقكم من نفس واحدة » كناية عن آدم عليه السلام .

٢ — فطنة الخاطب كقوله تعالى في قصة داود عليه السلام : « خصمه إن يتي بعضنا على بعض » فكسى داود بحمهم على لسان ملوكهم ثم ردها ، وقوله تعالى في قصة النبي ﷺ ، وزيد « ما كان محمداً أباً ... » السكوى « زيد » ولما كان رسول الله « وقوله تعالى . « فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة » فإنه كناية عن ألا تعاندوا عند ظهور المعجزة ، فتتمسك هذه النار العظيمة .

٣ — ترك اللفظ إلى ما هو أجل منه كقوله تعالى : « إن هذا أخى له تسع وتسعين نعجة ؛ ولي نعجة واحدة » فكسى بالجمع تدفع المرأة « كمادة العرب في أنها تكنى بها عن المرأة وقوله تعالى : « إلا متعرفاً لقنال أو متعيزاً إلى فئة » كنى بالتعيز عن الهزيمة ، وقوله تعالى : « إن الذين كفروا به لنجانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم » كنى عن قبول التوبة عن الموت على الكفر لأنه برادف .

٤ — أن ينحش ذكره في السمع فيكفى عنه بما لا ينور عنه لا طبع كقوله تعالى : « وإذا أمروا بالغفوا مروا كما » أى كفوا عن لفظه ، ولم يوردوه على صيقته « وقوله تعالى : « ولست كن لا نواعدهن سرا » فكسى عن الجماع بالسر .

ثم علق على الآية السكريمة مبيها الحكمة والخطافة في السكاية عن الجماع

بالسر فقال : « وفيه لطيفة أخرى لأنه (١) يكون من الآدميين في السر غالباً ولا يسره ما عدا الآدميين إلا الغراب ، فإنه يسره ، ويمسك أن بعض الأدباء ، أمر إلى أبي حاتم كلاماً فقال : « ليكن عندك أخفى من مفاد الغراب ، ومن الرأى في كلام الأئمة » فقال : نعم يا سيدنا ، ومن ليلة القدر ، وعلم النبي (٢) »

وقوله تعالى : « فالآن يا بشروهن » فكفى بالمباشرة عن الجماع لما فيه من البقاء البشريين ، وقوله تعالى . « عن لباس لكم وأنتم لباس لمن » واللباس من الملابس وهي الاحتلاط والجماع ، وقوله تعالى : « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه » كناية عما تطلب المرأة من الرجل ، وقوله تعالى : « وقالوا الجلودهم شهدت عليهم أي لقروهم » فكفى منها بالجلود ، وقوله تعالى فجعلهم كعصف ما كول ، كفى به عن مصيرهم إلى المذرة ، فإن الورق إذا أكل انتهى حاله إلى ذلك ، وقوله تعالى : « الخبيثات الغيبثين » يريد الزناة ، وقوله تعالى : « ولا يأتيان بيتك يفترينه » بين أيديهم وأرجلهم ، فإنه كناية عن الزنا ، وقيل أراد طرح الولد على زوجها من غير ، لأن بطنها بين يديها ورجليها وقت الحمل .

• — تحسين اللفظ كقوله تعالى : « بيض محكون » فإن العرب كانت من عادتهم الكناية عن حرائر النساء بالبيض ، قال امرؤ القيس :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها : تمتعت من لها بها غير معجل .

٦ — قصد البلاغة كقوله تعالى : « أو من ينشأ في الخلية وهو في انحصام

( ١ ) أي الجماع .

(٢) انظر تعليقنا على الكناية في الآية السكرية في كتابنا ، الإعراف في نظم

غير مبين ، فإنه سبحانه كفى عن التساء بأنهن يتشأن في القرعة والتزويج والتشاكل  
عن النظر في الأمور ودقائق المعاني ، ولو آتى بإفظ النساء لم يشعر بذلك ، والمراد  
نفي ذلك « أعني الأنوثة » عن الملائكة ، وكونهم بنات الله تعالى الله عن  
ذلك .

٧ - قصد المبالغة في التشنيع كقوله تعالى حكاية عن اليهود - لعنهم الله -  
« وقالت اليهود يدا الله مضوطة » فإن النمل كناية عن البخل « وقوله تعالى :  
« بل يداياه مبسوطتان » كناية عن كرمه .

ثم أشار إلى لطيفة في الآية السكرية ، لا يدركها إلا أصحاب الأذواق  
السليمة العالمون بأساليب اللغة العربية ، لواقفون على دقائقها وأسرارها القاهمون  
لأهدافها ومقاصدها ، المتذوقون لحلاوتها فقال : « وفي اليد وإن أفردت في  
الآية ليكون أبلغ في السخاء والجود »

٨ - التنبيه على مصيره كقوله تعالى : « تبت يدا أبي لهب » أي جهنم  
مصيره ، إلى القهقري ، وقوله تعالى : « حمالة الحطب » أي غامة ، ومصيرها إلى  
أن تكون حطباً لجهنم .

هذا ما قدمه الزركشي - رحمه الله - للكناية ، وإن من يتأمل حديثه عن  
الكناية يرى أنه سلك في دراستها الاتجاه الأدبي ، فكشف القناع عن أسبابها  
في القرآن الكريم بأسلوب أدبي رائع ، وبطريقة سهلة ميسورة لا تكاد لذهن ،  
ولا ترهق الفكر ، فهو يذكّر السبب ثم يورد له الكثير من الشواهد القرآنية  
ثم يبين موضع الكناية فيها ، وفي بعض الأحيان يتعرض لبعض الظائف  
الأدبية التي تكمن في الكناية .

وهو في دراسته للكناية قد تأثر بمن سبقه من العلماء ، وبخاصة الشيخ عبد القاهر الجرجاني والأديب الكبير ابن أبي الإصبع المصري ، فتعريفه للكناية هو تعريف الشيخ عبد القاهر ، والأسباب التي ذكرها قد سبقه إليها ابن الإصبع في كتابه « بديع القرآن » إلا أن الزركشي قد توسع فيها ، وأتى لها بالكثير من الشواهد القرآنية .

وقد امتازت دراسته للكناية بلاحاطة والشمول ، فقد ذكر أقوال العلماء في كونها حقيقة أو مجاز إلا أنه لم يوضح عن رأيه في النهاية وهذا مما يؤخذ عليه وامتازت دراسته أيضاً بالدقة والأمانة العلمية فهو يمتثل بأن استقراء من العلماء الذين سبقوه ، وينسب الأقوال إلى أصحابها فيقول عند تعريفه للكناية : هي عند علماء البيان . . . إلخ ويقول في معرض حديثه عن الكناية هل هي حقيقة أو مجاز : قال الطرسوسي . . . وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وينقل كلامهم بصدق وأمانة .

ونستطيع أن نجمل الجدير الذي قدمه الزركشي للكناية فيما يلي : —

١ — التوسع في ذكر أسبابها في القرآن الكريم .

٢ — الإكثار من الشواهد القرآنية .

ويؤخذ عليه أنه لم يكشف لنا عن بلاغة الكناية ، ولم يحدثنا عن أثرها في الأساليب العربية ، وإن كانت الأسباب التي ذكرها فيها إشارة إلى هذا الأثر .

كما يؤخذ عليه أيضاً أنه لم يفرق بين الكناية والتعريض ، ولكن من يتأمل حديثه عن الكناية ، ودمايته على بعض شواهدا يتبين له أنه لا يرى فرقا

بينهما ، بل هو يحمل التمريض قسا من أقسام الكفاية ، ولونا من ألوانها ،  
يتضح هذا من تعليقه على قوله تعالى « خصيان بنى بعضنا على بعض » فقد قال  
معلقاً عن هذه الآية مبيناً موضع الكتابة فيها : « فكأن داود منحصر على لسان  
ملكين تعريضاً » فذلكم هذا يستفاد منه أن التمريض قسم من أقسام الكفاية  
وهو في هذا يتابع السكاكي في جملة التمريض قسا من أقسام الكفاية ، كما يؤخذ  
عليه أنه ذكر أقوال العلماء في الكفاية هل حقيقة أو مجاز ، ولم يصحح عن رأيه ،  
وهذا يقتضي وطبيعة البحوث المتعمق ، فهمة الباحث لا تقف عند حد الجمع والنقل  
بل تمتد إلى الدراسة الوافية المستفيضة ، والمناقشة العلمية الحاذقة المنهجية ،  
والخروج في النهاية بالنتائج المفيدة ، وترجيح بعض الآراء على بعض بالأدلة  
والبراهين أو الخروج برأى جديد مؤيد كذلك بالحجج والبراهين .

#### اصحاب البديعات والكفاية

لقد اتجه بعض المتأخرين من علماء البلاغة في النصف الأخير من القرن  
السابع الهجري إلى صوغ الصور البلاغية في منظومات شربة لسهولة حفظها  
مضمين كل بيت من هذه المنظومات لونا من ألوان البديع ، ومن أجل هذا  
سموا بأصحاب البديعات ، وكان لهم منهج خاص يهدف إلى الاستيعاب والتذكين  
من الحفظ ، ومن أشهر هؤلاء علي بن عثمان الإربلي المتوفى سنة ٦٧٠ هـ ، وحمى  
الدين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ ، وجابر الأندلسي المتوفى سنة ٨٧٠ هـ ، وعز  
الدين الموصلي المتوفى سنة ٨٦٩ هـ ، وابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٢٧ هـ ،  
وعائشة الباهغونية المتوفاة سنة ٩٢٢ هـ .

ولعل بديعية لم تظفر بالشهرة كما ظفرت بديعية ابن حجة الحموي السابقة الذكر ،  
وقد جعلها في مائة واثنين وأربعين بيتاً ، استعملها بقوله :

لى فى اجتهاد مدحكم يا هرب ذى سلم براعة تستهل الذم فى العلم

وهو فيها يقتدى بعز الدين الموصلى فى تضمن القاط البيت ما يشير إلى  
الحسن البديعى الذى بناه عليه ، وصنف عليها شرحاً مطولاً سماه « خزانة  
الأدب » وقد طبع مراراً ونراه فى مقدمته لهذا الشرح يتوه بصفى الدين الخلى ،  
وبديعته وما اشتملت عليه من رقة ، بينما يصف بديعية عز الدين الموصلى بالثقل  
والشكاف الشديد ، ويقول : إنه لذلك انبرى يصنع بديعية ، تتضمن أبياتها  
الإشارة إلى المحسنات البديعية على طريقته ، وفى الوقت نفسه تجرى فيها الرقة  
والسلامة على مثال بديعية صفى الدين .

وإن من يقرأ بديعية ابن حجة ، وشرحها المطول المسى بخزانة الأدب  
يرى أنها مع خزانتها كفيلاً بتمثيل منهج أصحاب البديعات فى الصور البلاغية  
التي منها الكناية ، ولذلك فإننى كنتى بذكر الكناية عند ابن حجة وموقفه  
منها ، بطريقة تناوله لما ليكون مثالا لهذا المنهج ، ودليلاً على هذا المذهب .

### ابن حجة الحموى والكناية

قال ابن حجة (١) :

قالوا طویل نجاد السیف قلت : وکم . لئلا نألفه نكته من الكرم

هذا بيت بديعية ، ويعلق عليه قائلا : الكناية هى الإرداف بمبينة عند  
علاء البيان ، وإنما علاء البديع أفرودا والإرداف عنها .

ثم عرفها بقوله (١) : « السكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يحىء إلى معنى هو ردفع الوجود فيرمى به إليه . ويجعله دليلا عليه » ثم وضع التعريف فقال : « مثال ذلك قولهم : « طويل النجد كثير الرماد » يعنون بذلك أنه طويل القامة كثير القرى ، فلم يذكروا المراد بذكره الخاص به ولكن توصلوا إليه بمعنى آخر ، وردفعه في الوجود : ألا ترى أن القمة إذا طالت طالت مثال النجد ، وإذا كثرت القرى كثرت الرماد .

ثم أوردنا بعض الشواهد الشعرية ، ووصفها بالحسن ، من غير أن يذكر السبب في ذلك فقال : « ومن أحسن الأمثلة على هذا النوع قول الشاعر :  
بعيدة وهو القوط إما أنوف أبوها وإما عبد شمس وهائم  
ثم بين السكناية في البيت فقال : « أراد أن يذكر طول جيدها ، فأتى بقابضه ، وهو مهوى القوط »

ومن شواهد التي أوردنا ، ووصفها بالحسن والجودة قول ليلى الأخيلية :

ومخرق عنه القميص نخاله وسط البيوت من الحياء سقيا

ثم بين السكناية في البيت مثله فعل في البيت السابق نقل : « كذا عن الإفراط في الجود بمخرق القميص لجذب العفة له عند ادحامهم عليه لأخذ العطاء » .

ثم وضع مقاييس لبلاغة السكناية فقال (٢) : « والأبدع أن يكنى المتكلم

(١) خزائن الأدب ص ٤٤٠

(٢) خزائن الأدب ص ٤٤٠

عن اللفظ القبيح بالحسن « تم استشهد على ذلك بآيات من القرآن ، فقال  
« والمجز في ذلك قواه تعالى : » « كافيا لآكلان الطعام » كناية عن الحدث ،  
وقوله جل جلاله : « وقد أفنى بعضكم إلى بعض » يريد بذلك ما يكون بين  
الزوحين « ثم عاق على هذين الشاهدين القرآنيين فقال : « وعلى الجملة  
لا نجد معنى من هذه المعنى في الكتاب العزيز إلا بلفظ الكناية ، لأن المعنى  
الفاحش متى عبر التكميم عنه بلفظه الموضوع له كان الكلام معينا من جهة  
غش المعنى ، ولهذا عاب قدامة على امرئ القيس قوله :

فذلك حبل قد طارقت وهرضع فألهيتهما عن ذي تمام حول

إذا ما بكى من تحنها انصرفت له شق ونحى شقها لم يحول

قال - أعنى - قدامة عيب هذا الشعر من جهة غش المعنى ، والقرآن  
منزه عن ذلك ، ولو استعار امرؤ القيس لعماء الفاحش لفظ الكناية لاسم من  
العيب ، وهذا القدر يعتقد على مثله »

ثم أورد الكناية شواهد من السنة الشريفة فقال : « وفي السنة النبوية  
من الكنايات ما لا يحصى كقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يضيع العاصي عن  
عاقبه » كناية عن الضرب أو ككرة السفر ، »

هذا ما قدمه ابن حجة الكناية ، وإن من يتأمل جهده في هذا الميدان  
لا يرى فيه جديدا فهو عبارة عن جمع لآراء السابقين ، وشواهدهم ، ولذلك لم  
تتقدم أو تتطور الكناية على يديه ، بل وقف بها عندما وقف السابقون .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن أنثر أصحاب البديسيات وعلى رأسهم ابن حجة  
في الكناية بخاصة ، والصور البلاغية بعامة أمر ضئيل ، لأن هدفه - كما أسلفنا

كان الاتقياب والتكين من الحفظ ، فضلا عن أن هذا المنهج الذي أسلكه أصحاب البديعات يقوم على الاختصار الشديد ويحتاج عمله إلى التشرح ، ولذلك فإنه أصاب الصور البلاغية بالتعقيد والجمود ، وأفقدتها الكثير من حسناتها وجلالها ، وروعتها وبهائها .

## ملاحظاتى على الكناية عند القدماء

من خلال دراستى للكناية عند القدماء ، وإطلاعى على جهودهم التى بذلوها ووقوفى على آرائهم ، وتعرفى على اتجاهاتهم ، لاحظت عدة أمور أجملها فيما يلى :

١ — لقد تطورت الكناية على أبهى القدماء من التعمور إلى التعموض إلى اللوضوح ، ومن التعموض إلى التخصيص ، فقد كانت عند اى عبيدة عامضة عامة ، فمن عندهم من المعنى وراء أى لفظ آخر غير اللفظى الأسمى ، واستمرت فى غموضها وغمومها عند ابن المعتز ، وأبى هلال ، وابن رشيق ، وابن سنان ، ثم خطلت خطوات واسعة على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني ، فأخذت صورة المصطلح العلمى ، حيث اشترط فيها للعبور إلى المعنى المقصود باسمه مال معنى غير مقصود ، ولكنه ردف له وتاليه ، ثم دخلت فى دائرة المجاز على يد ابن الأثير ، فقد حملها على جانبى الحقيقة والمجاز ، ثم خصصت تخصيضا تاما على يد الخطيب القزوينى ، وبذلك صارت جميع الدراسات حولها تدور فى إطار ما فعله الخطيب .

٢ — دراسة القدماء للكناية تكاد تكون فى أغلب الأحيان دراسة تقليدية ، فالأخيرة لا انتقد فى التعريف ، والتقسيم ، وينقل شواهدا ، بل وينقل تعليقاته على هذه الشواهد ، دون أن يأتى بجديد يستحق الذكر والتسجيل ،

وفي بعض الأحيان قد يتصرف ، ولكن تصرفه يكون محصورا في الصياغة بأن يستبدل لفظا بآخر ، ومن أجل ذلك كان أترم في التجديد ضئيلا ، باستثناء الشيخ عبد القاهر الجرجاني وابن الأثير فقد كانت دراستهما للكفاية فيها الكثير من التجديد ، والابتكار في الفكرة وفي التعريف ، وفي الشواهد وفي تناول الصياغة ، والأسلوب فبعد القاهر هو الذي وضع أسس الاتجاه الأدبي الذي سار عليه الكثيرون من العلماء في تدولهم للصور البلاغية قديما وحديثا ، وقد امتازت دراسته بالعمق والتحليل والنقد الذي يهدف إلى إظهار ما في الأساليب العربية من الحسن والخلو ، أو القبح والرداءة ، وابن الأثير قد وضع أحسن اتجاه جديد في درس البلاغى ، فقد مزج الاتجاهين الأدبي والكلامى واستخلص منهما انجما وسطا كان له أثر كبير في إثراء الدرس البلاغى ، وتجديد شباب الصور البلاغية ، وإظهار محاسنها ومفاتها ، بعد أن هربت وشاخت على يد السكاكى الذى مزق أوصالها ، وشوه حسننها وجملها ، وألبسها ثوبا قائما من المنطق والفلسفة .

٣ - لم يكشف لنا أغلب القدماء عن أثر الكفاية في الأساليب العربية وهذا بما يؤخذ عليهم ، فالكفاية تعبير قفى جبيل ، وصورة بيانية رائعة ، تكسب المعنى قوة ولطافة والأسلوب رونقا وبهاء ، يسلكها الأدباء للتعبير عما يدور في نفوسهم من الخواطر ، ويحبش في صدورهم من المعانى ، فكان ينبغي للقدماء أن يكشفوا لنا عن حسناتها وجملاتها ، ومدى مانتقيته على الأسلوب من الروعة والطاقة والقوة ، ولكنهم لم يفعلوا وأهمثوا هذا الجانب الجمالى الذى هو المقصود من دراسة الصور اليبانية في الأساليب العربية .

٤ — خلت دراسة القدماء للكفاية في أغلب الأحيان من النقد الذي يقوم على الدق والإحساس ويهدف إلى إظهار مافي الأساليب من الخدن والجودة، أو القبح والرداءة عن طريق الموازنة بين الصور البلاغية في الأساليب العربية والمقابلة بينها على أسس نقدية سليمة ، ترتبط ارتباطا وثيقا بالذوق البشرية ، وتراعى فيها مقتضيات الأحوال ، وحسن الصياغة وجمال التعبير ، وحسن الأداء .

٥ — خلت دراسة القدماء كذلك من التحقيق والتحصيل ، ويظهر هذا واضحا في عدم نسبة أكثر الشواهد إلى أصحابها ، ولعل السبب في هذا هو التقاليد الذي سيطر على الكثير منهم ، فأخذ المتأخر ينقل شواهد من سبقه ، ولا يكلف نفسه مؤونة البحث عنها في مصادرهما ، ومن أجل ذلك فإن كثيرا من كتب القدماء المطبوعة تحتاج إلى تحقيق .

٦ — دراسة القدماء للكفاية لم تتوفر فيها الأمانة العلمية ، فقد أو لموا بالتقليد ، فكان المتأخر ينقل عن المتقدم تعريفه وشواهد وأقسامه ، دون أن يشير إلى ذلك ، وهذا يتناق مع الأمانة التي تقضيها البحوث العلمية ، فلما احت أن ينتفع بأفكار من سبقه أو عامره من العلماء ، ويستفيد من دراسته بشرط أن يشير إلى ذلك ، أما أن يترك الإشارة ، وينسب إلى نفسه ما ليس له فهذا اعتداء ، وجحد للفصل ، ونكران للجميل ، وإخلال بواجب الأمانة العلمية .

٧ — دراسة القدماء للكفاية بمخافة والصور البيانية بعامه ، لم تكن دراسة موضوعية منهجية تقوم على حسن التمييز والتنسيق ، وإنما كانت في كثير من جوانبها دراسة مشوشة ، لا تهتم بجمع أطراف الموضوع الواحد في موضع واحد ، بل ترى للموضوع الواحد يذكر في مواضع متفرقة ، وهذا يؤدي إلى تشتيت

ذهن القارئ ، ويصميه بالملل والسآمة ، ويعمل محصوله العلى ضئيلا ، وأثره قليلا ، وأكبر مثال على هذا كتابا عبد القاهر الجرجاني « لدلائل والأسرار » فإن للوضوع الواحد يتكرر فيها في أكثر من موضع ، حتى ليصبح من الصعوبة على القارئ أن يلم بأطراف الموضوع المنشعة ، والمقائفة في صفحات الكتاب .

٨ — دراسة القدماء للكتابة ، وسر الصور البلاغية تكثر فيها الخلقات حولي التعريفات والتقسيمات والتفريعات ، وهذه الخلقات قد جذت على الصور البلاغية ، فأطاعت أنوارها ، وأصابت أزهارها الجميلة بالذيول والجفاف ، ومزقت أوصالها ، وشوهت جمالها ، وأكبر مثال لهذا ما قرأه في كتاب « الطراز » للملوى ، فقد تبيع تعريفات السابقين ، ونقدما قدا حكم فيه المنطق ، واعتمد فيه على الفلسفة ، وأهمل الناحية الجملية ، ولم يكرس جهده للناحية الجمالية التي هي المقصودة من دراسة الصور البلاغية ، ولكن لم يفعل ولعل السبب في ذلك أن القدماء قد تأثروا بالفلسفة والمنطق ، فنعكس هذا التأثير على دراساتهم للصور البلاغية . فجاءت أساليبهم شاحبة باهتة ، وجاءت دراساتهم جافة قائمة ، تكسد ذهن ، وترهق الفكر .

٩ — لم يتعرض أحد من القدماء لدراسة الكتابة في القرآن الكريم دراسة مستقلة ، تكشف عن أثرها ، وقائدها ، وسر جمالها وخلودها ، بل شملوا أنفسهم بدراسات فلسفية عقيمة كالبحت في كونها حقيقة أم مجاز ، وأقاموا الدنيا وأقعدوها في هذا الجانب ، وأكثروا من اللجذل في هذا الميدان ، وأهملوا الناحية الجمالية ، ويستثنى منهم في هذه الناحية الشيخ الزركشي ؛ فقد كشف عن بعض فوائدها في القرآن الكريم بأسلوب أدبي ، وبطريقة سهلة ميسورة ، ولكنه لم يكشف لنا عن سر جمالها وعظمتها في القرآن الكريم .

١٠ - كذلك لم يتعرض أحد من القدماء للحديث عن الكناية في القرآن الكريم من حيث الإعجاز هل هي معجزة أولا ؟ وهذا ما يؤخذ عليهم ، فإن الهدف من دراسة البلاغية هو الوقوف على سر الإعجاز في القرآن الكريم ، فكان من الواجب على هؤلاء القدماء الأجلاء أن يدوروا هذه الصور البلاغية في القرآن الكريم من هذه الناحية دراسة واقية مستفيضة ولكنهم لم يفعلوا ويستثنى منهم في هذه الناحية الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، فقد أشار إلى هذا إشارة جزئية حينما تعرض لبيان الاستعارة في قوله تعالى : « واشتمل (١) الرأس شيئا » فقد أرجع السرف في جمال الاستعارة وشرفها إلى نظمها الذي هو فوق مقدور البشر ، ووقف عند هذه الجزئية ، ولم يجاوزها إلى غيرها من جزئيات البيان العربي ومن هنا ندرك أن عبد القاهر يرى أن الاستعارة - وهي صورة من صور البيان العربي - معجزة وأن إعجازها راجع إلى نظمها ، ولكنه - كما أسلفنا - وقف هذه عند الجزئية فقط (٢) .

١١ - سلك القدماء في دراسة الكناية بمحاذاة والصور البلاغية بعامية أربعة اتجاهات هي :

١ - الاتجاه الأول : تغلب عليه الناحية الأدبية ، ويعتمد إلى حد ما على الذوق والإحساس ، ومن رجال هذا الاتجاه ابن المعتز ، وأبو هلال العسكري وابن رشيق القيرواني والشيخ عبد القاهر الجرجاني .

(١) انظر ص ٨٩ ، ٨٠ من دلائل الإعجاز

(٢) لقد تحدثت عن الإعجاز في الصور البلاغية ، ووفيته حقه على قدر استطاعتي في كتابي « الإعجاز في نظم القرآن » في ص ٩١ - ١١١ فليراجع إليه القارئ الكريم إن شاء .

٢ — الاتجاه الثاني : تغلب عليه الناحية الكلامية ، ويعتمد على العقل  
والنطق ، ومن رجال هذا الاتجاه ، قدامة بن جعفر ، وابن سنان الطنجي ،  
والسكاكي ، والخطيب القزويني .

٣ — الاتجاه الثالث : هو مزيج من الاتجاهين الأدبي والكلامي ،  
وهذا الاتجاه يعتمد على اللدوق والعقل معا ، ويهتم بالناحية الجمالية والعلمية ،  
ومن رجال هذا الاتجاه ابن الأثير ، وابن أبي الإصبع المصري ، وعز الدين بن  
عبد السلام .

٤ — الاتجاه الرابع : اتجاه أصحاب البديميات ، وهو اتجاه يكاد يكون  
امتدادا للاتجاه الكلامي ، إذ هو اتجاه يهدف إلى الاستيعاب والتكئين من  
الحفظ ، ويهمل في أغلب الأحيان الناحية الجمالية .

## الفصل الثاني الكناية في العصر الحديث

لقد تحدث في الفصل الأول من هذا البحث عن الكناية عند القدماء من علماء البيان العربي . فشكفت النقاب عن آرائهم ، وأعطت اللثام عن جهودهم ، ثم سجلت في نهاية الفصل ملاحظاتي على دراساتهم ، وفي هذا الفصل سأحدث بعون الله وتوفيقه عن الكناية عند المحدثين ، ونسقى بهم علماء البيان في العصر الحديث ، ومن أشهر مؤلفي العلماء : الشيخ الرصافي ، والشيخ المرافقي ، والشيخ ، علي الجارم ، والدكتور أحمد بدوي ، والدكتور بدوي طبانة ، والشيخ أحمد الهاشمي .

### الرصافي والكناية :

لقد تحدث حسين الرصافي عن الكناية في كتابه « الوسيلة الأدبية للعلوم العربية » فعرّفها بقوله : (١) « هي لفظ أريد به لازم معناه ، مع جواز إرادته أيضا ، فيكون المراد إحداهما جيبا » ثم قسمها إلى ثلاثة أقسام على نحو ما فعل السكاكي ، ثم بين أنواعها من الإشارة والرمز ، والايحاء ، مترسما في ذلك خط السكاكي ، ثم أورد بعض الشواهد الأدبية ، وعاق عليها بأسلوب أدبي رائع ، موضعا موضع الكناية ، كاشفا عن حسن تصويرها ، وبراعتها .

### ملاحظاتي على الكناية عند الرصافي :

١ - لقد ترسم الشيخ الرصافي - رحمه الله - خطا السابقين ، وافقني ترسم في دراسته للكناية فعرّفه لها تعريف الخطيب الفزويني ، وتقسيماته هي

(١) الوسيلة الأدبية للعلوم العربية ص ٢٦

تفسيرات السكاكي ، والأنواع التي ذكرها ، وجملها أقساما للكفاية قد سبقه إليها السكاكي وشواهد التي أوردها هي شواهد السابقين ، وليس له فيها من جديد يذكر سوى تعليقه عليها بأسلوبه الأدبي رافع الأخاذ .

٢ - امتدّت دراسته للكفاية بتعقيب الخلافات التي كثيرا ما كان يثيرها السابقون .

٣ - كما امتدّت طرقته بحسن المرض وجمال الصياغة .

وبذلك نستطيع أن نحصره جديده التي قدمه للكفاية في ثلاثة أمور :

( أ ) تجذب الخلافات التي كثرت في كتب السابقين ، وتميز بها دراستهم .

( ب ) تعليقه على شواهد السابقين بأسلوب أدبي رائع .

( ج ) الكشف عن جمال للكفاية وبراعتها بطريقة أدبية مشوقة .

#### الباحث والكفاية :

تحدث المرحوم أحد المأثمين عن الكفاية في كتابه « جواهر البلاغة » فعرّفها بقوله (١) : « هي لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته » ثم أورد لها كثير من الشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ومنظوم كلام العرب ومنثوره ، ثم علق على هذه الشواهد ، مبينا موضع الكفاية فيها فمن شواهد القرآنية قوله تعالى : « أيعجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا » كفاية عن النسيئة ،

وقوله تعالى : « وحلفاء على ذات ألواح ودسر كناية عن الضيفة ، ومن شواهد الشعرية التي أوردها قول الحزمي :

قد كان تعجب بعضهم براعتي      حتى رأيت تفنعتي وسعالي  
كناية عن كبر السن .

ومن شواهد الشعرية التي أوردها ما روى أن خلافا وقع بين بعض الخلفاء ، ونديم له في مسألة فاتفقا على تحكيم بعض أهل العلم فاحضر ، فوجد الخليفة مخطئا فقال : القائلون يقول أمير المؤمنين أكثر « يريد الجهال » ومن شواهد الشعرية أيضا قول العرب في أمثالهم : « قلبت له ظهر الحن » كناية عن تغيير المودة .

ثم استطر في سرد ما ورد عن الأدباء من الكتابات اللطيفة في شتى اللغات والأغراض . بما يدل على سعة اطلاعه ، وطول معاصرته لأساليب اللغة العربية .

ثم ذكر تقسيمات الكناية ، مترسما في ذلك خطأ السكاكي مع الإكثار من الشواهد ، ثم أماط اللغز عن بلاغة الكناية بما لا يخرج عما قاله القدماء من علماء البيان .

ومن هنا نستطيع أن نقول منصفين : إن المصنف - رحمه الله - قد ترسم خطأ السابقين في دراسة الكناية تعريفه ليس فيه جديد يثير في النفس دافعا إلى معرفته وشوقا إلى استجلاء جماله ، وإنما هو نسخة مكررة من تعريفات السابقين ، وتقسيماته تقسيمات السكاكي ، وليس له من جديد سوى الإكثار من الشواهد وتجنب الغلطات ، وحسن العرض ، وجمال الصياغة .

## المرامى والكناية .

تحدث الشيخ مصطفى أحد المرامى - رحمه الله - عن الكناية في كتابة « علوم البلاغة » فعرّفها لغة بقوله : « الكناية لغة أن تتكلم بشيء ، وتريد غيره ، وقد كنوت بكذا عن كذا ، أو كفيت ، إذا تركت التصريح به » وهو في ثبات معناها النوى يسلك منهج الغويين القدماء ، بل يستشهد على أصل اشتقاقها ، بما استشهدوا به ، ثم يورد تعريفها الاصطلاحي فيقول : « وفي الاصطلاح نطابق على معنيين » :-

( ١ ) المعنى للصدرى الذى هو فعل للتكلم ، أعنى ذكر اللفظ الذى يراد به لازم معناه مع جواز إرادته معه .

( ٢ ) اللفظ السمعلى فيما وضع له ، لكن لا يكون مقصودا بالذات بل لينقل منه إلى لازمه المقصود لما بينهما من العلاقة والزموم العرفى .

ثم بذكر تقسيماتها مرصفا في ذلك خطأ الشيخين السكاكى والخطيب القزوينى ثم يستشهد لهذه الأقسام بما استشهد به السابقون ، ثم يعود فيقسمها إلى حسنة ، وفيبيحة ، ثم يفرق بينهما بأن الحسنة ما جمعت بين الفائدة ولطاف الإشارة ، والفيبيحة ما خلت عن الفائدة المرادة من الكناية ، ثم يستشهد لهما بشواهد السابقين ، ثم يكشف التقارب عن بلاغة الكناية بما لا يخرج عما ذكره السابقون من علماء البيان .

ومن هنا نستطيع أن نقول إز الشيخ المرامى - رحمه الله - لم يقدم للكناية جديدا يستحق الذكرو والتسجيل : فلقد ترسم - كثيره من علماء عصره - خطأ السابقين ، وانضى أثرهم وقدم في كل شيء ، قد عرّفها بتعريفين لم يخرجوا عن تعريفى عبد القاهر والسكاكى ، ثم نقل عن السكاكى جميع تقسيماتها بصدق

وأمانة ، ثم استشهد لهذه الأقسام بشواهد السابقين ، ثم نقل عن ابن الأثير  
تقسيمها إلى حسنة ومعيبة ، وعندما تكلم عن بلاغته نقل ما قاله الشيخ عبد القاهر  
الجرجاني ، ولم يزد شيئا ، وكل ما فعله الشيخ نارغى هو حسن التنسيق  
والتبويب والجمع بين العلاقات التي أولع بها السابقون .

### الجارم وأمين والكناية

تحدث الأستاذون المرحومون على الجارم ، ولأستد مصطفى أمين عن الكناية في  
في كتابهما « البلاغة الواضحة » بطريقة جديدة لم يسبق إليها ، فبدأ بعرض كثير  
من النصوص (١) الأدبية قرآنية ، وشعرية ، ونثرية ، ثم بحثا هذه النصوص  
بحثا دقيقا من حيث اللفظ والمعنى ، ثم بينا مواضع الكناية فيها ، وكشف عن  
حسنها وبراعة تصويرها ثم وضعنا تعريفا لها هو الكناية لفظا . أطلق ، وأريد  
به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى ، ثم قسمنا الكناية إلى ثلاثة أقسام .

١ — كناية عن صفة .

٢ — كناية عن موصوف .

٣ — كناية عن نسبة .

مترجمين في ذلك خط الساكني ، ثم تحدث عن اللغة الأسلوب الكفائي  
وأثره في حسن الصورة ، وتصوير المعنى .

وحصرنا بلاغة الكناية فيما يلي : —

١ — الكناية تعطيك الحقيقة مصعوبة بدليلها . وانقضيت في ظهيرة هاهنا .

٢ — تبرز لك المعاني الخجيرة في صورة المحسنة .

٣ — تذكرك من أن تشفى غلتك من خصلك من غير أن تجل له سريلا

عليك ودون أن تتحدث وجه الأدب .

(١) البلاغة الواضحة ص ١٢٣ .

(م ٥ — الأسلوب الكفائي)

٤ - التعبير عن القبيح بما تسويح الآذان سماعه .  
ثم أورد كثيراً من الشواهد الأدبية لهذه الأسرار البلاغية ، وعلقا عليها  
مبينين ما تضمنته هذه الشواهد من مظاهر الجمل ، والصعر الخلال بأسلوب  
أدبي رائع أخاذ .

### ملاحظاتى من الكناية عند الجارم وأمين

من خلال دراستى للكناية عند هذين الأستاذين المكبرين لاحظت عدة  
أمور هى :-

١ - لقد ابتكر طريقة جديدة فى تناول الدرس البلاغى فيها الكثير من  
المزايا التى رفعت من شأن البلاغة العربية ، وأخذت بيدها نحو التقدم والرفق  
ومن هذه المزايا ما يلى :-

( أ ) إن هذه الطريقة تعمل على غرس ملكة البلاغة فى نفس القارىء ،  
وتطبعه على الدوق العربى ، وتبعمره بأسرار الكلام البليغ ، وما فيه من  
ضروب الحسن وبدائع البيان .

( ب ) إنها تعمل على تربية ملكة الدوق الصحيح .

٢ - أكثر من الشواهد الأدبية ، وحللناها تحليلاً أدبياً رائعا ، وأوقفنا  
القارىء على مواطن الحسن والجمال فيها .

٣ - تجنباً لخلافات التى أكثر منها السابقون ، واتسمت بها دراساتهم .

٤ - ركزا جهودهما على الناحية الجمالية التى هى المقصودة من دراسة  
للصور البلاغية .

٥ - خلث دراستهما في أكثر جوانبه من الفلسفة والنطق .

٦ - مع ابتكارها لمفرد جديد في تناول الدرس البلاغي ، إلا أنهما لم يسلمتا من سيطرة المنهج القديم عليهما ، فلقد تعرضتا لتقسيمات السابقين ، وأثبتتاها في حاشي الصفحات فقد أثبتا أن الكناية إن كثرت ومناطها سميت تلويحاً ، وإن قلت وخفيت سميت رمزاً ، وإن قلت الوسائط ، ووضعت أولها تسكن سميت إيماء وإشارة . كما أنهما جملا التعمريض نوعاً من الكناية .

#### الدكتور أحمد بدوي والكناية

تحدث الدكتور أحمد بدوي - رحمه الله - عن الكناية في كتابه « الأسس النقدية لدى علماء العربية » فكشف النقاب عن مغزاتها في البيان العربي ، وأثرها في الأسلوب فذكر (١) أنها لون من ألوان الخيال ، عني بها نقاد العرب ، وعرفوا لها مكانها في الإيضاح والتأثير ، فإن الشعراء يذهبون أحياناً مذهب الكناية والتعمريض ، وهم إذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطرف ، وودقات تعجز الوصف ، ورأيت هناك شعراً شاعراً ، وشعراً ساحراً ، وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المفاق والخطيب المصقع . ثم ذكر أن العرب وضعوا الكناية في مكان أرفع من التصريح ، وعال ذلك بأن الأديب في الكناية يقرن دعواه بإثبات أمر من الأمور ، بما يحمل النفس نزاح إلى إثباته ، وتطمئن إلى هذا الإثبات ؛ إذ كأنه أتى برهان على دعواه ، وهذا واضح عند ما يكون مراد الشاعر إثبات صفة أو تسمية ، فإذا كنى عن ذات اختار أنسب ما في هذه الذات ، وما له دخل في الحكم - فجعله كناية عنه ، اقرأ قول الشاعر :

بيت بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت باللامة حلت

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب - ط الثانية ص ٥٣٨ ، ٥٣٩ .

فنجده قد تطف في وصف هذه المرأة بالغة ، قد ذكر ما تطفن به النفس ،  
إلى حسن سلوكها ، وعفة نفسها ، وهو أن الناس لا يتغذونها مضنة في أفواههم  
ولا يتركون أحدهم يثقها مقترنا بما يسىء إلى سمعتها .

ثم بين أن قناد العرب عابوا الكناية ، إذا كان بين المصنفين وسائط كثيرة  
بحيث يغمض الشيء المطلوب ، ولا يظهر بسرعة ، كما كرهوا العكفيات التي  
تبعث في النفس آثاراً غير رفيعة كقول المتنبي :

إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

فهذه كناية عن النزاهة واللعفة ، إلا أن الفجور أحسن منها ، وما ذلك إلا  
لنزول قدرها ، وسوء تأكيدها .

ودراسة الدكتور أحمد بدوي — رحمه الله — للكناية دراسة نقدية  
تحليلية تهدف إلى الكشف عما في الأساليب العربية من الحسن والجمال ، أو  
القيح ولزامة ، وهذه الدراسة قد سبقه إليها القدماء ، ومن هنا نستطيع أن  
نقول : إن أثر الدكتور بدوي في الكناية ضئيل فليس له من جديد سوى  
حسن العرض ، وجل الصياغة .

#### الدكتور بدوي طبانة والكناية

تحدث الدكتور بدوي طبانة عن الكناية في كتابه وعلم البيان ، فقدم  
لدراسته بالكلام عن موقعها بين الفنون الأدبية أبان في هذا التقديم أن  
الأدب تعبير قولي هدفه لإيضاح في نقل المعاني والأفكار إلى الناس بمثابة في  
الفكر ، سارية في التعبير ، كما أوضح أن غاية الأديب من أدبه التي يرمى إلى  
تحقيقها التأثير والإقناع . فمفكرة . وصدق الإحساس حتى تحدث المشاركة بين

سامعى أو قارئ أدبه ، وحتى تكون تلك المشاركة مظهرًا من مظاهر تقديره ، ولا شك أن هذه الغاية متحققة فى جميع الصور البيانية ، وقد يظن ظان أن أسلوب الكتابة من بين الصور البيانية يخاف لما عليه الأسلوب البيانى ، نأبان الهدف من دراسة الكتابة ، وكيف أنها لا تتعارض مع الوضوح المطلوب من الكلام ، بأنه لم يقصد بهذا الوضوح التبذل بالكلام ، بل لابد للإنسان أن يجيل فكره فى صورة الكتابة إلى أن يفهم هدف المتكلم ، وإنما المراد الوضوح الذى يسكون معه إعمال الفكر ، وتحريك الخاطر لطلب المعنى .

ثم ف ذق يدنها وبين التعقيد ، بأنها ما كان معناها إلى القلب أسرع من لفظها إلى السمع ، ومن هنا يبدو أثر الكتابة أو التعريض أو الرمز أو الإيحاء فى جمال ما تنبه من ملكات ، وما تستثير من الأذواق ، ولا يقصد بإخفاء هنا ذلك الذى يصل إلى حد التعمية التى تنميك ، ثم لا تجدى عليك ، وتؤرقك ، ثم لا تروق (١) لك .

ثم كشف النقاب عن بلاغة الكتابة فقال : « وأسلوب الكتابة فى البلاغة الدورية من أهم الأساليب التى ياجز إليها لأدياء ليحققوا الغاية التى ذكرناها فى هذا الكلام من محاولة إخفاء المعنى الصريح ذلك الإخفاء الذى يجنبهم كثير مما يحشون التعريض به ، أو مما لا يرضونه لعبارةتهم من الفحش والابتذال ، وهو فى الوقت نفسه يستثير الشوق فى نفس القارئ ، والسماع ، فيجد كل منهما المتعة الفنية التى يصل إليها بعد البحث والتأمل ، والإدراك ، فيظل أثرها باقيا فى نفسه ، ويبقى الاستمتاع بها وقتا طويلا (٢) » .

( ١ ) انظر ص ١٧٣-١٧٦ من علم البيان للدكتور يدوى طبانة .

( ٢ ) علم البيان ص ١٧٦ .

## الفصل الثالث

### صور الأسلوب الكنائى

تبلورت جهود البلاغيين في نهاية اللطاف عن تفرع الأسلوب الكنائى، بحسب المطلوب، - كما يرى السكاكى - إلى ثلاثة أقسام، واستمرت هذه الأقسام دستور الأئمة البلاغيون إلا نادرا.

### وما هي الأقسام :

١ - القسم الأول : السكاكية المطلوب بها صفة (١).

وهي نوعان : قريبة، وبعيدة، والقريبة نوعان : واضحة وخفية.

### أولا : القريبة :

(١) القريبة الواضحة : وهي التي ينتقل منها إلى المطلوب من أقرب لوازمه،  
إليه من غير واسطة، وبسهولة ويسر لوضوح التلازم بين المعنى الحقيقي،  
والمعنى الكنائى :

ومن شواهد قول الحاسى :

أبت الروادف والتدى لقبصها من البطلون، وأن تمس ظهورا

وإذا الرياح مع الشئ تفاوت نيمن حاسدة، وهجن غيورا

فقد كنى بالبيت الأول عن تعود ثديها، وكبر رديها، وضور خصرها

---

(١) المراد بالصفة : المعنى القائم بالغير، لا خصوص التمثيل التحوى كالشجاعة والجليل، والكرم والبخل، والطول، والقصير، والشرف والخسة والرفعة... والصفة، وما شاكل ذلك...

حيث أطلق منع الروادف والتدنى قسما من أن غمر الظهور أو البطن : لينتقل منه إلى المراد في سهولة ويسر لوضوح التلازم بين المعنى الحقيقي والمعنى الكفائي .

وقول حمير بن أبي ربيعة :

بعيدة مهوى القرط إماما لنوفل أبوها وإماما عبد شمس وهشم (١)

نقوله : « بعيدة مهوى القرط » كناية عن طول العنق ، وهي كناية قريبة واضحة . لأن الانتقال من : بعد مهوى القرط : إلى طول العنق ، يحصل بسهولة ويسر ، ومن غير حاجة إلى تأمل وفكر .

(ب) للفريية الخفية : وهي التي ينتقل منها إلى المطلوب من أقرب لوازمه إليه من غير واسطة مع تأمل وإعمال فكر وروية خلفاء التلازم بين المعنى الحقيقي والمعنى الكفائي .

ومن شواهد ما قول الشاعر :

عريض القفا ميزانه في شاله قد انحصر من حسب القراريط شاربه (٢)

يصف رجلا بالنباوة ، على طريق الكناية ، لأن « عرض القفا » كناية عن الخلق ، و « ميزانه في شاله » كناية عن البله ، و « انحصر من حسب القراريط شاربه » كناية عن البلادة فهذه ثلاث كنايات قريبة خفية ، أما كونها قريبة : فلأن الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الكفائي المراد لا يتوقف على وسائط ، وأما كونها خفية : فلأن الانتقال فيها من المعنى الحقيقي إلى المعنى الكفائي يتوقف على تأمل وإعمال فكر وروية ، فالانتقال من عرض القفا إلى

---

(١) القرط : حلى الأذن . ومهواه : سقطه من المنكب

(٢) انحصر : انحصر شاربه لكثرة ما يعض على شفتيه عند الحسب والمعد .

الحق ، ومن كون ميزانه في شأله : إلى البلاهة ، ومن انحصار شاربه إلى البلاهة  
لا يهتم كل أحد ، وإن فهمه أحد فيعد بقل مجهود فكري ، ومرجع ذلك إلى  
أنه لم يشتهر استعمال هذه التراكيب في هذه المعاني عند كل الناس .

ثاني : البعيدة : ، هي التي يكون الانتقال فيها من المعنى الحقيقي إلى  
المعنى الكائن بواسطة واحدة أو أكثر .

فمن شواهد الأولى (١) : ما رواه البخاري ومسلم عن عدى بن حاتم قال : لما نزلت  
هذه الآية : « وكلاوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط الأبيض من الخطيط الأسود »  
عدت إلى عقابين ، أحدهما أسود . والآخر . أبيض ، قال : فجعلتهما تحت  
وسادتي . قال : فجعلت أنظر إليهما . فلما تبين لي الأبيض من الأسود  
أمسكت ، فلما أصبحت غدوت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأخبرته  
بأنني صنعت فقال : « إن كان وسادك لعريضا » ..

والشاهد في قوله - عليه الصلاة والسلام - « إن كان وسادك لعريضا »  
فهو كناية عن آلة فهمه ، وبين المعنى الحقيقي ، والمعنى الكائن المراد : وسيلة  
واحدة ، إذ إنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض الفقا ، ومن عرض الفقا  
إلى المعنى الكائن المراد .

ومن شواهد أيضا قوله أبي تمام :

فإن أنا لم يحمدك عني صاغرا عدوك فاعلم أنني غير حامد

يقول لمدوحه : إن لم أكن أحميد القول في مدحك إلى الحد الذي يرضم

عدوك على حفظه وترديده ، فلا تعتبرني مادحا لك بما أنظم فيك .

( ١ ) أي التي يكون الانتقال فيها من المعنى الحقيقي إلى المعنى الكائن بواسطة واحدة

فقد كنى بحفظ عدو ومدوحه مدحه فيه عن : إجابة شعره في مدحه ، فبين  
المعنى الحقيقي والمعنى الكنانى واسطة واحدة ، إذ إنه ينتقل من : حفظ عدو ومدوحه  
قول الشاعر فيه إلى : إعجابه بقوله ، وينتقل من إعجابه بقوله إلى : إجابة  
شعره فيه ..

### ومن شواهد الثانية (١) قول نسيب :

نعبد العزيز على قومه      وغيرهم ممن ظاهرة  
فيا بك أسهل أبوابهم      ودارك مأهولة عامر  
وكابك آنس بلزئر      ين من الأم بالابنة الزائرة

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر إلى أن الزائر من معارف عنده ، ومن  
ذلك إلى اتصال مشاهدتهم ليلاً ونهاراً ، ومنه إلى لزومهم بابه ، ومنها إلى  
وقور إحسانه إلى الخاص والعام وهو المقصود .

وقوله ابن هرمة :

لا أمتع المود بالفصال ولا      أبتاع إلا قرينة الأحل (٢)

فإنه ينتقل من عدم امتاع المود بفصال إلى : بحرهما ، ومنه إلى : كثرة  
الآكلين ، ومنها إلى : كثرة الضيوف ، ومنها إلى الكرم .

---

(١) أى الذى يكون الانتقال فيها من المعنى الحقيقى إلى المعنى الكنانى بأكثر  
حسن واسطة .

(٢) المود ، بضم العين : جمع عاقدة وهى الناقة الحديثة التاج . اتصال يكسر  
الصاد : جمع فضيل ، وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه ، أى قطع ، أبتاع : اشترى

## وقول الآخر :

ومايك في من عيب فاني جيان الكلب ميزول الفصيل

فإن الذهن ينتقل من جيب الكلب عن الحرر في وجه من يقصد داراً هو مقبى على حراستها والعس دونها مع أن ذلك ليس من طبيعه ، إلى أنه قد دام زجره وتأديبه حتى تغير عن مجرى عادته ، ثم إلى استمرار موجب نجاحه ، وهو اتصال مشاهدته وجوها إثر وجوه ، ومن ذا إلى كونه ملجأ للقاصي وللداني ، ومن ذا إلى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف .

وكذا ينتقل من هزال الفصيل إلى فقد الأم ، ومن ذا إلى قوة الداعي إلى نحرها ، مع كمال عذابهم بالنوق خصوصاً المتلى (١) منها ، ومن هذا إلى صرفها إلى الطبايع ، ومن ذا إلى أنه مضياف .

## ٢ - القسم الثاني : الكناية المطلوب بها موصوف :

والكناية في هذا القسم نوعان : قريبة ، وبعيدة

فالقريبة : هي أن يفتق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين

عارض فتذكرها متوصلاً بها إلى ذكر الموصوف . كقول الشاعر

الضاربين بكل أبيض مخدّم والطاحنين بمجامع الأضغان (٢)

فقد كنى « بمجامع الأضغان » عن القلب

وقول شوقي في محاسن اللغة العربية :

(١) المتألى : من أتلت التافة : إذا تلاها ولها . (٢) الأبيضي : المراد به السيف ، مخدّم على وزن متهر : القاطع ، الأضغان : جمع ضغن يكسر الضاد وسكون الغين وهو الحقد .

إن الذي ملأ القات محاسنا      جعل الجبال وسره في الضاد  
فقد كتني : ب و الضاد « عن اللغة العربية ، لأن حرف الضاد من خصائصها  
التي تدل عليها .

وقول المتنبي يمدح سيف الدولة لما ظفر بيني كلاب :  
فدام وبسطهم حرر      وصبعهم وبسطهم تراب  
ومن في كفه منهم قناة      كمن في كفه منهم خضاب  
والشاهد في البيت الثاني ، فقد كتني بمن يحمل قناة عن الرجل ، وكتني ،  
بمن في كفه خضاب عن المرأة . فهو يريد أنهم لهيبة سيف الدولة خفلوا حتى  
صار الرجل منهم كالمرأة .

وقول أبي العلاء المعري :  
سليل النار دق ورق حتى      كأن أباها أورهه السلا  
فكتني بقوله : « سليل النار » عن السيف ، لأن النار شأنها كبرها في صفة فكانها  
ولدها ، وأنتجت .

وقول أبي نواس في الخمر :  
ولما شربناها ودب ديبها      إلى موطن الأمراء قات لما تقى  
فقد كتني : ب « موطن الأمراء » عن القلب  
وقول آخر يرقى رجلا مات بطة في قلبه :

ودبت له في موطن الحلم علة      لما كالصلال الرقش شرديب (١)

(١) الصلال . جمع صل يكمر الصاد وهي الحية التي يسرى سمها في اللدغ .  
بصيص لا ينفع فيه المصل ، ومعنى الرقش أن فيها نقط مواد وبياض ، وهي من  
أشد الحيات إيذاء .

فقد كنى بـ: «مواطن الحلم» على القلب

وقول الآخر:

قوم ترى أرماحهم يرم الوغى مشفوقة بمواطن الكنان

فقد كنى بـ: «مواطن الكنان» عن القلوب لأنها مواضع الأسرار الخفية.

والبيدة: هي أن يتكلف المتكلم اختصاصها بأن يقيم إلى لازم الانعما  
وآخر حتى يوفق مجموعا وصفيا مانعا من دخول كل ماعدا تصوده.

كان يقول في الكفاية عن الإنسان: «هو على مستوى القامة عريض  
الأظفار» فهذه المعاني: «على مستوى القامة، عريض الأظفار» مجتمعة تعبير  
مختصة بالإنسان، لا توجد فيما عداها، فينتقل منها إليه.

وشرط البلاغيون في هاتين السكتين الاختصاص بالكنى عنه، وذلك  
بكون المعنى المكنى به مختصا بالمكنى عنه ليحصل الانتقال إلى المعنى المقصود.

٣ — القسم الثالث: الكفاية التي يطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف:

وهي التي يسمونها «كفاية النسبة» ، ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه  
عنه ومن شواهد ما قول زياد الأعجم:

لن الساحة والمروءة والأذى في قبه ضربت على ابن الخشرج

فإنه أراد أن يثبت اختصاص ابن الخشرج بهذه الصفات أي ثبوتها له ،  
وأراد ألا يصرح بإثبات هذه الصفات له ، فيجعلها في قبه ، وجعلها مضرورة عليه  
فأفاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق الكفاية .

وقول الشنفرى الأذدى في وصف امرأة بالحقه:

بيت بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالملامة حلت

فإنه لما أراد أن يبين عفافها ، وبراءة صاحبها عن التهمة ، وكاله نجاتها  
عن أن تلام بنوع من الفجور على سبيل الكناية نسبتها إلى بيت يحيط بها .  
تخصيصيا للشجاة عن القوم بها .

وقول المتنبي في مدح كافور :

إن في ثوبك القذى المجد فيه      نصيب يزرى بكل ضياء

حيث أراد أن يثبت المجد لكافور ، فترك التصريح بهذا ، وأثبتته بالله  
تعلق به وهو الثوب بطريق الكناية .

وقول السكيت الأسدي بمدح ابن بن لويد البجلي :

بصير أبان قرين السما      ح والسكرات مما حيث صار

وقول أبي نواس بمدح الخفيف أمير مصر :

فأجازته جود ولا لـلـ دونه      ولمكن بصير الجود حيث بصير

ففي البيت كنايةان أريد بهما اختصاص المدوح بالجود وقصره عليه ،  
إحدهما في قوله : « فأجازته جود ولا لـلـ دونه » والثانية في قوله : « ولمكن  
بصير الجود حيث بصير » وقد تنطف أبو نواس في إثباتهما أحسن تلطف ،  
وصاغهما أدق صياغة ، حيث نكر الجود في الشطر الأول ، فعنى جميع أفراد  
الجود ، لأن التذكرة في سياق الفاعل تمت ، ثم نعى أن يجوز ، ويشمدى مدوحه ،  
ويحل دونه ، فيكون متوزعا يقوم منه شيء بهذا ، وشيء بذلك ، وحيث لا يوجد  
شيء من الجود عند غير المدوح ، فقد ثبت له الجود كله ، واختص به ، ثم  
تراء يعرف الجود في الشطر الثاني باللام المفيدة للعموم ، ثم يحله في ذات المكان  
الذي يحل فيه المدوح ، وبذلك يفيد اختصاصه به على أبلغ وجه وأكده .

## أقسام الكناية عند ابن الأثير

لقد نما ابن الأثير في تقسيم الأسلوب الكنائي نحو آخر إذ بقي تفسيعه على الوسائط التي توصل إلى المطلوب من القرب والبعد والقلّة والكثرة وجملها على ضربين (١) :

الضرب الأول : ما يحسن استعماله :

والضرب الآخر : ما يقيح استعماله ، وهو عيب في صناعة التأليف .

فأما الضرب الأول - الذي يحسن استعماله - فإنه ينقسم إلى أربعة أقسام :

١ - التمثيل :

وهو لتشبيه على سبيل الكناية ، وذلك أن تراد الإشارة إلى معنى ، فتوضع ألفاظ تدل على معنى آخر ، وتكون تلك الألفاظ ، وذلك المعنى مثلاً للمعنى الذي قصدت الإشارة إليه والعبارة عنه . كقولنا : « فلان نقي الثوب » أي منزّه عن العيوب .

والكلام به فائدة لا تكون لو قصدت المعنى بلفظه الخاص ، وذلك لما يحصل لسامع من زيادة التصور المدلول عليه ، لأنه إذا صور نفسه مثال ما خوطب به كان أسرع إلى لرغبة فيه ، أو لرغبة عنه . فمن بدع التمثيل قوله تعالى : « أحبب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » فأما تمثيله الاغتيا بـ « يأكل » فإشارة إلى أن الإنسان آخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم الأخر ، ولم يقتصر على لحم الأخر حتى جعله ميتاً ، ثم جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالحية . وهذه أربع دلالات واقعة على ما قصدت له مطابقة المعنى الذي وردت لأجله .

(١) انظر الجامع الكبير لابن الأثير - مطبعة النجف العلمي العراقي بغداد

فشد يد المتأصبة جدا ، وذلك لأن الغشيان إنما هو ذكر مثالب الناس ، وتمزيق أعراضهم ، وتمزيق العرض بمائل لأكل الإنسان لحمة من بفتابه ، لأن أكل اللحم فيه تمزيق لا محالة ، وأما قوله : « لحم أخيه » فلما في الغشيان من الكراهة ، لأن المثل والشرع معاقد أجمعا على استكراهه ، وأما ما يتركه والبعد عنه ، ولما كان كذلك جعل بمنزلة لحم الأخ في كراهته ، ومن المعلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إنسان آخر مثله ، إلا أنه لا يكون مثل كراهته لحم أخيه فهذا القول مبالغة في استكراه الشيء لا أمد فوقها ، وأما قوله : « ميتا » خلافاً لـ أن الغشيان لا يشمر بنيتته ولا يحس . وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالحبة ، فلما جبات عليه النفوس من الميل إلى الغيبة والشهوة لهذا مع العلم بأنها من أذى الخلال ، ومكروه الأفعال عند الله تعالى والناس ، فتمزيق العرض مثل أكل الإنسان لحم من بفتابه ، لأن ذلك تمزيق على الحقيقة وجعل بمنزلة لحم الأخ لأجل المبالغة في الكراهة و « الميت » لامتناع الإحساس به ، واتصال ما هو مستكره بالحبة ، لما في طبع الأنفس من الشهوة للغيبة والميل إليها . ومن هذا التسمي قوته تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » ، ولا تبسطها كل البسط » فكل البخل بأحسن تمثيل ، لأن البخل لا يحدده بالعطية كالفلول الذي لا يستطيع أن يمد يده . وإنما قال : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » ولم يقل : « ولا تجعل يدك مغلولة » من غير العنق ، لأنه قال : « ولا تبسطها كل البسط » فتاب ذكر العنق ، عن قوله : « كل الغل » ، لأن من اليد إلى العنق هو أقصى الغايات التي جرت العادة بعمل اليد إليها .

ومن أمثال العرب « إيدك وعقيلة السح » وذلك تمثيل للمرأة الحسناء في مهنت السوء ، لأن عقيلة الملح هي القزاة ، تكون في البحر ، ومن التمثيل قول

ابن الدميقة :

أبني أفي يمين يديك جمعتني . . . ففرح أم صيرتني في شمالك ؟

فذكر اليمين ، وجعلها مثلاً لإكرام المنزلة ، وذكر الشمال ، وجعلها مثلاً لموان المنزلة ، لأن اليمين أشرف منزلة من الشمال ، وأكرم محلاً .

وفي القرآن العزيز ما يدل على ذلك ، وهو قوله تعالى : « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود . . . آية » ، فلما جاء إلى ذكر الشمال قال تعالى : « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . . . الآية (١) » .

## ٢ - الإرداف :

وهو اسم سماء به فدامة بن جعفر السكاك (٢) ، قال ابن الأثير : هو أكثر علماء هذه الصنعة قد أدخلوا لإرداف في « التمثيل » وفي الفرق بينهما إشكال ودقة (٣) ، وفي « التمثيل » فقد سبق أن تراد الإشارة إلى معنى فتوضع الألفاظ الدالة على معنى آخر تكون تلك الألفاظ ، وذلك بمعنى مثلاً للمعنى الذي قصدت الإشارة إليه ، والعبارة عنه ، كقولنا : « فلان بقي الثوب » أي منزله عن العيوب .

وأما « لإرداف » فهو أن تراد الإشارة إلى معنى ، فيترك اللفظ ليدل عليه ، ويؤتى بما هو دال عليه ، ومرادف ، كقولنا : « فلان طویل القجاد »

( ١ ) اجمع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لابن الأثير

ص ١٥٧ - ١٥٩ -

( ٢ ) نقد الشعر ص ٨٨ -

( ٣ ) اجمع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ص ١٦٠ -

والمراد به طويل القامة، إلا أنه لم يثقل بطول القامة الذي هو الغرض، ولكن ذكر ما هو دليل على طول القامة وليس نداء الثوب دليلاً على النزاهة عن العيوب، وإنما هو تمثيل له.

والإرداف يفرع إلى خمسة فروع (١) :

١ — فعل المبادهة : كقوله تعالى : « ومن أضلم ممن اتهم على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه » فإن المراد بقوله تعالى : « لما جاءه » أى أنه سفيه الرأى، يعنى : أنه لم يتوقف في تكذيبه وقت ما سمعه، ولم يفعل ما يفعله المراجع (٢) العقول المنشبتون في الأشياء : فإن من شأنهم إذا ورد عليهم أمر، أو سمعوا خبراً أن يستعملوا فيه الروية والفكر، ويتأوا في تدبيره، إلى أن يصبح لهم صدقه أو كذبه، ألا ترى إلى قوله تعالى : « لما جاءه » أى أنه ضعيف العقل، طازب الرأى، فعدل عن ذلك إلى ما هو دليل عليه، وأردف له، وهو قوله : « لما جاءه » وذلك أكد وأبلغ. ومن هذا الباب أيضاً « وإذا تولى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم » وقالوا ما هذا إلا إلهك مفترى، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين » والكلام على ذلك كالكلام على الذي قبله.

٢ — باب « مثل » وذلك دقيق الصفة لطيف المفرد، وقد كانت العرب تأتي « بمثل » في هذا الموضع تؤكداً للكلام، وتأييداً لأمره، يقول الرجل إذا نفى عن نفسه القبيح : « مثلى لا يفعل هذا » : أى أنا لا أفعله، فتق ذلك عن مثله، وهو يريد تقيمه عن نفسه، قصداً للمبالغة، فذلك به طريق

( ١ ) الجامع الكبير في صناعة المنحوم من الكلام وانتشر ص ١٦٠ - ١٦٥

( ٢ ) المراجع : جمع المرجاح أى الكثير الاهتزاز، ولعله أخذه من نخل

مراجع، أى موقرة بكثرة التمر.

الكناية ؛ لأنه إذا نقاه من عائلته ، أو يشابهه ، فقد نقاه عنه لا محالة .

وكذلك قولهم أيضا : « مثلك إذا مثل أعطى » أى أنت كذلك ، وهو كثير فى الشعر القديم والمولود ، والكلام المنشور ، وسبب تأكيد هذه المواضع : « مثل » أنه يراد أن يحمل من جماعة هذه أوصافهم ، تنبيها للأمر ، وتمكينه ولو كان فيه وحده لقلق منه ، ووضعه ، ولم ترس فيه قدمه .

ومثل ذلك قولهم فى مدح الإنسان : « أنت من القوم الكرام » أى لك فى هذا الفعل سابقة ، وأنت حقيق به ، ولست دغيا فيه .

وقد ورد هذا الباب فى القرآن الكريم ، كقوله تعالى : « ليس كمثل شيء » وهو السميع البصير ، وهذا كقولهم : « مثلك لا يبخل » فتفى البخل عن مثله ، وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدا للمباعدة ؛ لأنهم إذا نفوه من يسه مسده ، وهو على أحسن أوصافه ، فقد نفوه عنه . ونظير ذلك قولك للعربى : « العرب لا تخفى الدم » ، وهذا أبلغ من قولك : « أنت لا تخفى الدم » .

وليس فرق بين قوله تعالى : « ليس كمثل شيء » وبين قوله : « ليس كالله شيء » إلا من الجهة التى نبهنا عليها .

٣ - ما يأتى فى جواب الشرط ، وذلك من ألطف الكنايات وأحسنها ، فمن ذلك قوله تعالى : « وقل الدين أوتوا العلم والإيمان » لقد ليتم فى كتاب الله إلى يوم البعث ، فهذا يوم البعث « كأنه قال : إن كنتم منكرين يوم البعث فهذا يوم البعث ، فكفى بقوله : « فهذا يوم البعث » عن بطلان قولهم وكذبهم فيما ادعوه ، وذلك رادف له ، ونظيره قولك : « تنكر حضور زيد فما هو » أى فأنت كاذب ، وهذا من دقائق الكناية .

٤ - الاستثناء من غير موجب ، وذلك من غرائب الكفاية ، كقوله تعالى : « ليس لهم طعام إلا من ضريع » والضريع نبات ذو شوك تسميه قرين « الشيرق » في حالة خضرته وطراوته ، فإذا يبس سمته العرب « للضريع » ، والإبل ترعاه طريا ، ولا تقربه بابسا ، والمعنى ليس لهم طعام أصلا ، لأن الضريع ليس بطعام للبهائم ، فضلا عن الإنس ، وهذا مثل قولك : « ليس لفلان ظل إلا الشمس » ، تريد نقي الظل عنه ، وذكر الضريع رادف لانتفاء الطعام . وعلى نحو من هذا جاء قول بعضهم :

وتفردوا بالمكرمات فلم يكن سراهم منها سوى الحرمان

والمراد نفي المكرمات عن سواهم ، لأنه إذا كان الحرمان من المكرمات سببا لهم منها شيء ألبقه :

٥ - ليس بشيء مما تقدم ، وذلك نحو قوله تعالى : « عفا الله عنك لم أذن لهم » والمعنى المراد من هذا الكلام : إنك أخطأت ، وبئسما قلت ، وقوله « لم أذن لهم » بيان لما كنى عنه بالعفو ، أى مالك أذن لهم ، وهلا استأنيت ؟ فذكر للعفو دليل على التنب ، ورادف له ، وإن لم يكن يذكره ، وكذلك جاء قوله تعالى : « فإن لم تعملوا ولن تعملوا فلتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » ، قيل لهم إذا استبتم العجز عن المعارضة فاتركوا العناد ، فوضع قوله : « فاتقوا النار » موضعة ، لأن اتقاء النار لصيقة ، وحسيمه من حيث إنه من نتائج وروادفة ، لأن من اتقى النار ترك المعاندة ، ونظيره أن يقول للملك لحشمه : « إذا أردتم الكرامة عندي فاحذروا سطلي » يريد فأطيعوني ، واتبعوا أمرى ، وانقلوا ما ينتجه حذر السخط ، وذلك رادف له . ومن هذا الباب قوله تعالى : « قلت الأعراب آمنوا قل لم يؤمنوا ، ولكن

قولوا أسلما « ألا ترى إلى لطافة هذه الكناية ؟ فإنها أقادرت تكذيب دعواهم »  
ودفع ما اتصلوه . وقادتها هنا أنه روعي في تكذيبهم أدب حسن ، حيث لم  
يصرح بلفظه ، فلم يقل : كذبتم ، لأن فيه نوع استعجاض في الخطاب ، ووضع  
قوله تعالى : « لم تؤمنوا » الذي هو نفى ما ادعوا ببلانه موضعه ، لأن ذلك  
رادف له . وما يجري هذا المجرى قوله تعالى : « قل الملا للذين استكبروا من  
قومه للذين استضعفوا إن آمن منهم أن تعلمون أن صالحا مرسل من ربه ، قلوا :  
إنا بما أرسل به مؤمنون » فإن الغرض بقولهم : « إنا بما أرسل به  
مؤمنون » جوابا عن سؤالهم « أنتمو أن صالحا مرسل من ربه » ؟ إثبات  
العلم بإرساله ، وأنه من الأمور الظاهرة الملمة ، التي لا يدخلها ريب ،  
ولا يترضا شك ، لكن عدل عن ذلك إلى ما هو دليل عليه ، ورادف له ،  
وهو الإيمان به ، أعني بصالح . وإما صرح منهم بمد ثبوت نبوته عندهم ، والعلم  
 بإرساله إليهم ، فلايمان به إذن دليل على العلم بأنه نبي مرسل ، وهذا من دقائق  
الإرداف ولطائفه .

وأمثال ذلك كثيرة كقول الأعراب في حديث أم زرع في وصف زوجها :  
« له إبل قليلات المسارح ، كثيرات المبارك ، إذا سمعت صوت المزهري أبقت  
أنهن هو الك » فإن الظاهر من هذا القول أن إبله تنزل بفدائه ولا تبرح ليقرّب  
عليه نحرها للأضياف فإذا ضرب المزهري لقيان نحرها الضيوفة . لقد اعتادت  
هذه الحالة ، وأنتها ، وغرض الأعرابية من هذا الكلام أن تصف زوجها  
بالجود والكرم ، ولكنها لم تذكر ذلك بلفظه لئلا يظن عليه ، وإنما أتت بعمان «  
هي أدلة على ذلك من غير تصريح بمرادها ، وكذلك قال بعضهم :

وددت - وما تبنى الودادة - أنني بما في ضمير الحماجية عالم

فإن كان خيرا سرني وعلمته وإن كان شرا لم تلمني الاواشم

فإن المراد من قوله : « لم تلتنى اللوائم » أنى أهدرها . فأضرب عن ذلك جانباً ، ولم يذكر اللفظ المختص به ، واسكنه ذكر ما هو دليل عليه ، وراؤف له .

### ٣ — المجاورة :

وذلك أن يريد المؤلف ذكر شيء ، فيترك ذكره جانباً إلى مجاوره .  
فيقتصر عليه ، اكتفاءً بدلالته على المعنى المقصود ، كقول عنزة :

وشككت بالرمع الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بحرم  
أراد بالثياب هنا نفسه ، لأنه وصف الشكوك بالكرم ولا توصف الثياب  
به فتبت حينئذ أنه أراد ما تشتمل عليه الثياب ، وفي ذلك من الحسن ما لا ينكره  
المعارف بهذه الصنعة ، وقال عنزة أيضاً :

بزجاجة صفراء ذات أسرة قونت بأزهر في الشال مقدم<sup>(١)</sup>

الصفراء هنا الظفر ، والذكر لزجاجة حيث هي مجاورة لها ، ومشتمة  
عليها ، وذهب بعض المفسرين في قوله تعالى : « وثيابك فطهر » إلى أنه أراد  
بالثياب القلب أو الجسد ، أى قلبك فطهر أو جسديك ، وأمثلة هذا كثيرة .

### ٤ — الكناية التي ليست تمثيلاً ولا إردافاً ولا مجاورة :

كقوله تعالى : « أو أمن ينشأ في الحلية . وهو في انطصام غير مبين » فكأن  
عن النساء بأنهن يتربين في الحلية أى الزينة والنعمة ، وهو<sup>(٢)</sup> إذا احتاج إلى  
مجاورة انطصوم كان غير مبين ، أى ليس عنده بيان ، ولا يأتى ببرهان يحتاج

(١) ذات أسرة : أى ذات طرائق وخطوط . وقوله بأزهر يبنى لإبريقها من  
عظضة أو رصاص ومقدم مدود فه بخرقة ، وقيل مقدم عليه التمام يصق به  
(٢) للضمير « هو » ، حائد إلى « من » ، في قوله تعالى « أو من ينشأ في الحلية »  
يعتبار لفظها .

به من يخافه . وذلك لضعف عقول النساء ، ونقصها عن نظرة الرجال .  
ومن هذا الباب قول أبي نواس :

تقول التي من بيتها خف محلي عزيز علينا أن تراك تسير  
الأنرى إلى حسن هذه السكناية عن ذكر امرأته بقوله : « التي من بيتها ،  
خف محلي » فإنه من العظما مذهبها ؟ وكذلك قول نصيب :  
فعلجوا فائتوا بالتي أنت أمله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

## الفصل الرابع

### الأثر البلاغي للأسلوب الكنائى

الكناية وادمن أودية البلاغة ، ومقتل من مقاتل البيان العربى ، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعة ، وصفت قريحته ، وطريق جميل من طرق التعبير الفنى ، يلجأ إليه لأدباء للتعبير عما يدور فى قوسهم من المعانى ، ويجيش فى صدورهم من الخواطر ، ووسيلة قوية من وسائل التأثير والإفناع ولها أثر كبير فى تحسين الأسلوب ، وتزوين الفكرة ، فهمى فى العبارة الأدبية كالليرة الهيمية فى العقد ، وكانخلال فى خد الحذاء ، وكالزهرة الجميلة فى الروضة الفتيحة ، تضفى عليها جمالا أخاداً ، وسعراً خللاً ، وتكسوها رونقاً وبهاءً ، فتسترقى الانتباه ، وتسترق الأنماع ، وتبهز الألباب ، وتذوب النفس تأثراً بجمالها ، وتترافص المواطف نهياً لعناقها ، وتتحرك الأحاسيس مفتونة بحسنها وبهائها .

وقد بحث البلاغيون فديماً وحديثاً عن سر جمال الكناية وحسنها وعظمتها ، وقد توصلوا فى النهاية إلى الكشف عن هذا السر ، وأجلوه فيما يلى : —

١ — الكناية تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، والقضية وفى طيها برهانها . كقول البحتري :

يفضون فضل الماحظ من حيث ما بدا لهم عن مهيب فى الصدور محبوب

فإنه كفى عن إكبار الداس للمدوح ، وهيبتهم إياه بفض الأبرار الذى هو فى الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال ، وتظهر هذه الخاصة جلية فى الكتابات من الصفة والنسبة .

٢ - الكناية تضع لك المعاني في صور الخسرات ، ولا شك أن هذه خاصية  
الفنون ؛ فإن المصور إذا رسم الصورة للأمل أو اليأس بهرك ، وجعلك ترى  
ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحا ملموسا ، وذلك لأن المعاني الكلية  
مستنتجة من الجزئيات المحسوسة ، ومجردة عنها . وهذه المعاني المجردة لا يدركها  
العقل واضحة إلا إذا صور لنفسه محسوسات جزئية ، تسكني عنده لا تنتزع  
صورة مجردة عنها ، وإلا فلا يتصور من اللفظة الموضوع لها إلا صورة إجمالية  
خفيفة جداً ، ثم هو لا يتأثر عند سماعها إلا بمساعدة افعال بصاحب صورتها  
الجملة ، ويقترب بها أحيانا ، فالكرم والجود والتدي الموجد في أمثلة الأسلوب  
الكفائي معان متقاربة ، وجميعها مجردة عن جزئيات محسوسة . لا تنضح  
تلك المعاني لدى ذهن إلا إذا صور تلك الجزئيات المنتزعة فيها

فقولنا : « محمد كريم » تعبير لا يتصور معه السامع صورة الكرم واضحة  
في محمداً إلا إذا صورته بمطى محتاجاً أو سائلاً ، أو تصويره بقرى ضيفاً ، وتخيّل أن  
السامع تصور ذلك ، فإنه لا يتصور مقدار الكرم من مجرد تصور إعطاء أو تصور  
قرى ، لأن صفة الكرم متفاوتة شدة وضمفاً ، ولا يمكن معرفة شدتها ، أو ضعفها  
إلا إذا عرف مقدار العطاء ، والتوسع في القرى ، ثم الهيئة والحالة التي يسكون  
عليها محمد من ارتياح ومسارعة ، أو قطارب ، وتباطؤ ، وبذلك وضح أن  
السامع لا يقف أولاً يدرك صورة الكرم من الجملة السابقة إلا أن يمثل نفسه  
محمد في عطاء ، ولا يدرك تلك الصفة وشدها إلا إذا تصور كثرة العطاء من  
جهة ارتياح محمد ومسارعته إلى العطاء من جهة أخرى

وهذه الأشياء لا يمكن أن يمثلها السامع لنفسه من الجملة السابقة إلا بتعب  
وطاقة وقوف أمامها وإمعان فيها ، بخلاف ما إذا سمع قول الشاعر :

عمر والملا ذو الندى لا يسابقه      مر السحاب ولا ريح تجارية  
أجفاته كالجواني للوفود إذا      لبوا عكة ناداهم مناديه  
أو أعملوا خصبوا منها وقد ملئت      قوتا لحاضره منهم وياديه

خيان الشاعر لم يقتصر على وصف عمرو بالندى ، ولو كان منه ذلك ، ما كان  
لكلامه حلاوة ، ولا بلاغة ، ولكنه زاد على وصفه مسارعته إلى الندى ، وصور  
أجفانه التي يوضع فيها الطعام أسبا كثيرة ، وكبيرة كالجواني ، بل زاد على ذلك  
أنه أقام منادين ينادون من حضر مكة إليها ، ثم لم يقف عند ذلك ، بل صور  
أن المدح مدح على هذا حتى في أيام المل وقلة الطعام للحاضر والبادي على  
كثرتهم ، فنصور العقل من جميع هذه الجزئيات صورة السكر ، وشذتها في  
الموصوف على أتم وضوح ، فعصل عنده بذلك الممرة والاستحسان ، وقام في  
نفسه من الإعجاب بعمرو والإجلال له ما يناسب وضوح الصورة التي تجلت  
عليه من مجموع العبارات في الأبيات .

فالكناية في أغلب صورها هذا شأنها ، فإنها تمثل للذهن المعنى المجرد  
بصورة جزئياته المحسوسة ، فيدرك من تم المعنى المقصود على أخصر طريق من  
غير استكراه ولا عسر فقول الشاعر :

أرغ وأزبد يا يزيد      فما وعيدك لي بضائر

فإنه كفى عن شدة الغضب بجزئيات محسوسة يستدل بها عليه .

وقول الآخر :

نصبوا بقارة الطريق خيامهم      يسابقون إلى قرى الضيفان

ويكاد موقدهم يحود بنفسه      حب القرى خطبا على النيران

فإن هذه المحسوسات الجزئية يمكن بها عن شدة السكر في المدح والثناء  
وارتياعهم إليه وقول الآخر :

خطرات النسيم تخرج خديه      وأمس الحرير يدمى بياضه

فإنه بالغ في ذكر هذه المحسوسات كفاية عن رقة جلده وبضاضته ، كما أنه  
يقدم بطريق التعميم أنه معان متعجب ، وأنه من أهل الترف والنعيم الذين  
يلبسون الحرير وما إليه في الرقة ولين الملابس .

٣ — الكفاية تمسكتك من أن تشقى غلتك من خصمك من غير أن تجعل  
له سبيلا عليك ، ودون أن تחדش وجه الأدب أو تخرج عن حدود لياقة التدقيق ،  
وهذا النوع يسمى بالتعريض . ومثله قول المتنبي في قصيدة يمدح بها كافورا ،  
ويعرض بسيف الدولة .

رحلت فسمك بك بأجفان شادن	على ، وكم بك بأجفان ضيفم (١)
ومارية للقرط اللليح مكانه	بأجزع من رب الحسام الناصم (٢)
فلو كان ما بي من حبيب مقنع	عذرت ولو كان من حبيب معمم
رمى واتقى رمي ومن دون ما اتقى	هو كاسر كفى وقوى وأهوى
إذا شاء فعل المرأة ساءت ظنونه	وصدق ما يعتصده من توهم

(١) الشادن : وله الغزال . والضيفم . الأسد ، أراد بالباكي بأجفان  
الشادن المرأة الحسان . وبالباكي بأجفان ضيفم الرجل الشجاع . يقول كم من  
نساء ورجال بكرأ على فراق . ويجزعوا لا يرتحل

(٢) القرط . ما يعلق في شعبة الإذن . والحسام . السيف القاطع . والناصرم  
الذي يصيب الفاصل ويقطعها يقول لم تكن المرأة الحسان بأجزع على فراق من الرجل  
الشجاع .

فإنه كفى عن سيف الدولة . أولا : بالحبيب المصمم ، ثم وصفه بالغلو الذي يدعى أنه من شيمة النساء ، ثم لأمه على مبدعته بالعدوان ، ثم رماه بالجلين ، لأنه يرمى ، ويشتى الرمي بالاستتار خلف غيره ، على أن المتنبي لا يجازيه على الشر بمثله ، لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديما ، يكسر كفه وقوسه وأسرجه . إذا حاول النضال ، ثم وصفه بأنه سيء الظن بأصدقائه لأنه سيء الفعل كثير الأوهام والظنون ، حتى ليظن أن الناس جميعا مثله في سوء الفعل ، وضعف الوفاء ، فافطر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا التيل كله من غير أن يذكر من اسمه حرفا .

٤ — إن حسن السكناية أو لإرداف يأتي من طريق المبالغة في الوصف . لأن في التعبير بهذا الردف أو التابع من القوة والحسن ما ليس في اللفظ الموضوع لذلك المعنى . ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة في وصف امرأة بطول الجيد :

بميدة مهوى للقرط إما انوفل أبوها ، وإما عبد شمس وهاشم

فلم يذكر طول الجيد بلفظه الخاص به ؛ ولكنه عدل عنه ، وكان في ذلك من المبالغة والجمال ما ليس في اللفظ الأصلي ، لأن بعد مهوى القرط أدل على طول أكثر ، لأن كل بميدة مهوى القرط طويلة الجيد ، وأبست كل طويلة الجيد بميدة مهوى القرط ، إذا كان طول الجيد في عذتها يسيرا .

ولما أراد امرؤ القيس أن يصف ترف محبوبته ، وأن لها من يكفئها قل :

وبضعى فتيت الماسك فوق فراشها تؤم الضحى ، لم تنتطق عن تفضل

فقال : « تؤم الضحى » وأن فتيت لاسك يبقى فوق فراشها إلى الضحى ؛ وكذلك سائر البيت ؛ أي هي لا تنتطق لتخدم ؛ ولكنها في بيتها متفضلة ؛

### ومنه قول ليلي الأخيلية :

ويحرق عنه القميص تحله  
بين البيوت من الحياء سقيا

أرادت وصفه بالجلود والكريم ، فبجاءت بالأردف والتوابع هما ، أما  
ما يتبع للجلود فدمته بأنه يحرق القميص ، لأن العفة تجذبه فتحرق قميصه من  
مواصلة جذبهم إياه ، وأما ما يتبع الكريم فالحياء الشديد الذي كأنه من إمانته  
نفس هذا الموصوف ، وإزالة الأثر عنه ، حتى يخال سقيا ، ومنه قول الحكم  
الخصري :

قد كان بمجد - بمضن راعى  
حتى سمعن اتعنحنى رسالى

فلم يصف الكبير باللفظ المبني ، ولكنه أتى بتوابعه ، وهي السعال والتعنحنى  
٥ - بالكناية استطاع التعبير عن المعاني غير المستعسفة بألفاظ لا تعافها  
الأذواق ، ولا تعجبها الأذان ، وأمنلة هذا كثيرة في القرآن الكريم ، الذي  
لا يحوى إلا العبارة للهدية ، والكلام المذهب السامع . قال ابن فارس : يكنى  
عن الشيء : فيذكر بغير اسمه تحسينا للفظ ، أو إكراما للذكر ، وذلك كقوله  
جل ثناؤه : « وقالوا اجلودهم لم شهدتم علينا » وقالوا إن الجلود في هذا  
الموضع كدية عن آراب الإنسان ، وكذلك ، قوله جل ثناؤه : « ولما كن  
لأنواعدهن سرا » إنه التكاثر ، وكذلك « أوجاء أحد منكم من الغائط » ما  
اطمان من الأرض . كل هذا تحسين للفظ وافتقار جل ثناؤه كريم يكنى ، كما قال  
في قصة عيسى وأمه عليهما السلام : « ما السبيح بن مريم إلا رسول قد خلت  
من قبله الرسل وأمة صديقة كأننا بياكلان الطعام » كفاية عما لا بد لآكل الطعام  
عنه (١) .

وحسن الكفاية عما يجب أن يسكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح ، أصل من أصول القصاصة ، وشرط من شروط البلاغة ، ومن ذلك ما كتب أبو الحسين جعفر بن محمد بن نواية عن المعتض بالله إلى خمارويه ، وقد أوصى خمارويه بإبنته التي تزوجها المعتض بالله ، فكان مما كتب ابن نواية : « أما لوديعه فهي بمنزلة ما اتفق من يمينك إلى شمالك ، عناية بها ، وحياطة لها . واستعصمت الكفاية عن الزوجة بالوديعه حتى صار الكتاب يعتمدونها ، وقال بعضهم : إن تسمية إياها بالوديعه نصف البلاغة .

٦ — إن الأسلوب المكثافي ينزع إلى لغة الطبيعية ، بتمثيل الأشياء

بخصائصها ومن ذلك قول أبي نواس :

ولما شربنا ما ، ودب ديبها إلى موطن الأسرار قلت لها قفي

فإلى أين دب ديب روح أبي نواس ؟ إلى موطن الأسرار ، وما موطن الأسرار ؟ ليس الدماغ ؟ فقد نحى الشاعر إلى إطلاق لفظ « وإضافة لازم معناه » وقد دل في ذلك على الشيء بأوصافه ، وفي هذه الدلالة نزوع إلى اللغة الطبيعية التي تمثل الأشياء بتمثيل خصائصها ، ومثله قول وديع البستان في تعريب محاسن الطبيعة : « ولا تبعذوا عن جانبات الشهد المتطائر هنا وهناك تقبل تغور الأزهار » حيث كنى جانبات الشهد عن المحل .

وقول الشاعر :

فارتشف ريق العناقيد بيد ما تقامى من تباريع الكد

حيث كنى ريق العناقيد عن الخمرة ، وفي ذلك نزوع إلى اللغة الطبيعية .

٧ - إن الكتابة قد تكون طريقا من طرق الإيجاز والاختصار كقوله تعالى كتابة عن كثير من الأفعال « وليتس ما كانوا يعملون » وقولهم كتابة عن الجامع لكل شيء : « هو سفينة نوح »

٨ - إنك ترى في الكتابة من المعجب المعجيب « ومن غريب الصنعة »  
ومن بديع السحر إذا كانت في باب الصناعات الخمسة الخفية بد كر مذاقها  
كما قيل لحائك :

« ما صنعتك ؟ » قل زينة الأحياء ، وجهاز الموتى ، وقال ابن باقراني  
- جامع قول «

أما ابن الذي لا ينزل الدهر قدره	وإن نزلت يوما فسوف تعود
تري الناس أفواجا إلى ضوء ناره	منهم قيام حوله وقعود

## الفصل الخامس

### السكناية في القرآن الكريم

قبل أن أتحدث عن السكناية في القرآن الكريم ينبغي أن أشير في إيجاز إلى آراء علماء البيان في الكناية في كونها من قبيل الحقيقة أو المجاز، إذ إن بعضهم ممن ينكرون وقوع المجاز في القرآن ينكرون وجودها بناء على أنها من المجاز. فأقول مستعينا بالله وحده طالبا منه العون والتوفيق .

أقد اختلف علماء البيان في الكناية ، فمنهم من قال : إنها من باب الحقيقة ومنهم من قال : إنها من باب المجاز ، ومنهم من قال : إنها لفظة يتجاوزها جانب الحقيقة والمجاز ، ومنهم من لم يحكم فيها بحقيقة ولا مجاز .

فأما من جعلها من باب الحقيقة فهو الإمام عبد القاهر الجرجاني ، فقد قال في التعمريف بها « والمراد (١) بالسكناية أن يريد التكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، وإنما يحىء إلى معنى هو تاليه ، وردفه (٢) في الوجود ، فيسمى به إياه ، ويحمله دليلا عليه . مثال ذلك قولهم : « هو طويل النجاد (٣) » يريدون : طول القامة ، و« كثير الرماد القدر » يعنون : كثير القرى ، وفي المرأة : « تؤم الضحى » والمراد أنها مرفقة بخدمة لها عن بكفيتها أمرها ، فقد أرادوا في هذا كله - كما ترى - معنى ، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ، وإنما وصلوا إليه وذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود ، وأن يكون إذا كان . ألا ترى أن القامة إذا طالت : طال النجاد ؟

(١) دلائل الإعجاز والإعجاز ص ٥٢ (٢) الردف بكسر الراء وسكون الدال هو الذي يركب خلف الراكب ، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه . (٣) النجاد كسكتاب : ما وقع على العائق من حائل السيف .

وإذا أكثر القرى : أكثر رماد القدر ؟ وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفئها  
أمرها ردق ذلك أن تنام إلى الضحى ؟ .

وإيضاح ذلك أن لكل تركيب من التركيب التي ساقها عبد القاهر  
معنيين : أحدهما متبوع وهو المعنى الكفائي المراد كطول القامة - مثلاً - والمتبوع  
هو المقصود بالإفادة ، ولم يذكر لفظة ، والتابع - وإن ذكر لفظة - لم يقصد  
لذاته ، بل ليكون وسيلة ورمزاً إلى متبوعه . فلعنى الكفائي عند عبد القاهر  
هو المتبوع أو الملزوم ، والمعنى الحقيقي : هو التابع أو اللازم . ومن هنا كانت  
الكناية عند عبد القاهر حقيقة إذ إن الحقيقة لفظ مستعمل فيما وضع له سواء  
أكان ما وضع له مقصوداً لذاته أم مقصوداً لينتقل منه إلى غيره ، والكناية من  
النوع الثاني ، أي أنها لفظ مستعمل فيما وضع له لينتقل منه إلى غير الموضوع  
له ، بحيث يكون غير الموضوع له هو : متعلق لإثبات والنفي ، ومرجع الصدق  
والكذب ، وعلى هذا تفارق المجاز من أوسع الأبواب لأنها حقيقة وكفى .

ورأى عبد القاهر هذا رأى حسن ووجيه لمطابقته للواقع إذ الواقع أن  
للمعنى الحقيقي لازم وتابع في لوجود للمعنى الكفائي ، لأن القامة إذا طالت :  
طال النجاد ، وإذا أكثر القرى : أكثر رماد القدر ، وإذا كانت المرأة مترفة ،  
لها من يكفئها أمرها : ردق ذلك أن تنام إلى الضحى وهكذا .

وقد تبع عبد القاهر في هذا الاتجاه كثير من علماء البيان منهم الفخر الرازي  
وأبو يعقوب السكاكي ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والذويري .

وأما من جعلها من باب المجاز فهو أمير المؤمنين يحيى بن حمزة العلوي فقد قال في كتابه « الطراز » كاشفاً النقاب عن منزلتها في البيان العربي : « أعلم أن الكناية واد من أودية البلاغة ، وركن من أركان المجاز » وقد تبعه في هذا الاتجاه كثير من علماء البيان ، واحتجوا بأن تكون الكناية تمبيراً عن معنى لا يذكر بلفظه الموضوع له ، بل بلفظ يدل عليه ، فيعبر به عن ذلك المعنى ، وقالوا : إن المجاز بالكناية ليس من جهة الأفراد ، بل من جهة التركيب كقوله : « فلان سهاره صائم » ، وليله قائم ، فإن الصيام والقيام حقيقتان ، والليل والنهار حقيقتان ، وإنما نسبة الصوم إلى النهار والقيام إلى الليل هو المجاز (١) .

وأما من قال : إنها لفظة تجاذبها جانباً حقيقة ومجاز فضياء الدين بن الأثير الجزري (٢) ومن يقول بقوله . واحتجوا على ذلك بقوله تعالى : « أولاً مستم النساء » وقالوا إن ذلك يجوز حمله على الحقيقة والمجاز ، وكل منهما يصح به المعنى ولهذا ذهب الشافعي - رحمه الله - إلى أن اللبس هو مصافحة الجسد للجسد وذهب غيره إلى أن المراد باللبس الجماع ، فقد تجاذب هذه اللفظة جانباً حقيقة ومجاز ، وكذلك قوله تعالى : « إن هذا أخى له سمع وتسعون نعمة » ، ولي نعمة واحدة « فالنمجة يجوز أن يسكنى بها عن المرأة ، ويجوز استعمالها في حقيقتها » وهي الأثني من النعم (٣) .

وأما من لم يحكم فيها بحقيقة ولا مجاز فالإمام محمد بن سنان الخفاجي ، وأبو حنبل المسكري والدنمى ، ومن يقول بقولهم ، واحتجوا على ذلك بأن الكناية عبارة عن ذكر الحنى القبيح باللفظ الحسن ، وهذا لا يجوز أن يكون

( ١ ) جوهر الكثر : لتجم الدين بن الأثير الحلي المتوفى سنة ٧٣٧ هـ تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام ص ١٠١

( ٢ ) في المل السائر ، ونقله صاحب الطراز ص ١٣٨

( ٣ ) جوهر الكثر ص ١٠٢

هذا ولا رسمًا ، لأن الخد والرسم لا يد فيهما من اطراد وانعكاس في الخد .  
وهذا الخد الذي ذكره لا يطرود ولا ينعكس ، لأنه يقتضى أن كل مالا يكرن  
ذكر المعنى القبيح باللفظ الحسن فلا يكون كذابة وليس الأمر كذلك ، فإن  
الكتابة تقع على المعنى الحسن والمعنى القبيح كقولك : « فلان طويل النجاد » تعنى  
بذلك طول قامته ، فهذا اللفظ حسن كئى به عن معنى حسن ، فيدتنقض عليهم  
ذلك الخد . (٤) ،

وأنا أميل إلى رأى الشيخ عبد القاهر القنى يجعل الكتابة من قبيل  
الحقيقة ، لأنه - كما أشرت قبلا - مطابق للواقع . ، ومن هذا الرأى أنطلق إلى  
إلى الحديث عن الكتابة في القرآن الكريم ، فأقول : إن الكتابة موجودة  
في القرآن الكريم وأنها فيه من قبيل الحقيقة ، وليست من قبيل المجاز .

ولقد حفل القرآن الكريم بضروب شتى منها ، ففيه الإرداف ، ومنه قوله  
تعالى : « وقضى الأمر » وحقيقة ذلك ، وهلك من قضى الله هلاكه ، ونجا من  
قضى نجاته ، وعدل عن الحقيقة للدلالة والتنبية على ذلك بأمر مطاع لا يرد قضاؤه

ومنه قوله تعالى : « فيهن فاصرات الطرف » أى عفيفات ، قد قصرت  
عنهن طرفهن في بعولتهن ، وعدل عن المعنى الخاص الى لفظ الإرداف ؛ لأن  
كل من عفا عن الطرف عن مطموح ، فقد يمتد نظر الإنسان الى شىء ،  
وتشبهه نفسه ؛ ويحب عنه مع القدرة عليه ، لأمر أمر ، وقصر طرف المرأة على  
بعلها ، أو قصر طرفها حياء وخفرا أمر زائد على اللغة ، لأن من لا يطمع طرفها  
لفير بعلها ؛ أو لا يطمح حياء وخفرا ، فإنها ضرورة تكون عفيفة ، وليست  
كل عفيفة قاصرة الطرف ، فلذلك عدل عن اللفظ الخاص الى الإرداف .

وفيه الإشارة كقوله تعالى : « وقبيض الماء : » فإن غييض الماء يشير إلى

« انقطاع مادة الماء من نبع الأرض ، ومطر السماء ، وتولا ذلك لما غاض الماء ، ومنها أيضاً قوله تعالى : « وفيها ما تشبه الأنفس » وتلذ الأعين » ففيه إشارة إلى كل ما تميل إليه النفس من الشهوات التي لا تنحصر ، وتلذ الأعين من المراتب التي لا تنضب ، لتعلم أن هذا اللفظ القليل قد دل على معان لا تنحصر - عدا ، ومنها قوله تعالى : « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر » فانظر إلى ما أشارت إليه لفظة « الأمر » من ابتداء نبوة موسى - عليه السلام - وخطاب الحق له ، وإعطائه الآيات البيّنات من إلقاء العصا لتصبح عصا ، وإخراج يده بيضاء ، وإرساله إلى فرعون ، وسؤاله شد عضده بأخيه هارون إلى جميع ما جرى في ذلك المقام ... كل ذلك أشارت إليه هذه اللفظة الواحدة .

وفيه الرمز والإيماء كقوله تعالى : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم » يوم أوف ، فقد أشارت كلمة « أوف » إلى العدد ، فقد روى بعض العلماء أنهم كانوا أربعة آلاف ، وروى من طريق آخر أنهم كانوا ثلاثين ألفاً ، وصح لفظاء الرواية الثانية بقوله تعالى : « أوف » فجمعها جمع الكثرة ، ولو كانت الرواية الأولى أصح لقال سبعائة .. آلاف ، ولم يقل : أوف ولا شك أن الذي صور هذا المعنى هو اللفظ الذي رويته إلى العدد .

وفيه التمثيل كقوله تعالى : « واستوت على الجودي » فإن حقيقة ذلك ، وجلست على هذا المكان ، فعدل عن الحقيقة إلى التمثيل لما في الاستواء من الإشمار بالجلوس متمكن لا زرع فيه ولا ميل ، ولا حركة معه ولا اضطراب ، فإن هذا الجلوس تسكن معه قلوب أهل السفينة لسكونها ، ولأنسكن إلا بهذا الجلوس المدهوت بالاستواء ، وبذلك يحصل تمام الأمن ، وكال قطع أيقنة ، ولا يحصل ذلك من قولنا : جلست ، ولا ما يدل على معناه فقط ، فلذلك عدل عن لفظ الحقيقة إلى التمثيل ، وما كان ذلك إلا لحسن التصوير وجمال التعبير .

وقد التعريض (١) كقوله تعالى : « قالوا أنت فعلت هذا بالكتمان يا ابراهيم »  
 قال بل قد كبيرم هذا فاسألوه إن كانوا ينطقون « قول ابراهيم : « فاسألوه  
 إن كانوا ينطقون » تعريض بجملهم ، وضف عقولهم ، فكأنه يقول لهم :  
 كيف تعبدون من لا يحيب إن سئل ، ولا ينطق إن كلم ، وتجلونه شريكاً لمن  
 لا انطلق والأمر ؟

كذلك توجد في القرآن الكريم شواهد لأقسام السكناية المصطلح عليها عند  
 علماء البيان وهي : السكناية المطلوب بها صفة ، والسكناية المطلوب بها موصوف  
 والسكناية المطلوب بها نسبة . فمن السكناية عن الصفة قوله تعالى إلا متعرفاً  
 لقتل أو متعبراً إلى فئة « حيث كنى بالتحيز عن الهزيمة ، وقوله تعالى :  
 وثياك مطهر » كناية عن عفة النفس وطهارة الذيل .

ومن السكناية عن الموصوف قوله تعالى : « وحملناه على ذات ألواح ودسر »  
 فقد كنى بألواح ودسر « عن السفينة ، لأن مجموع الأمرين مجتمعين وصف  
 مخصص بالسفينة ، وقوله تعالى : « كنهن بيض مكنون » كناية عن حرائر  
 النساء ، فإن العرب كانت من عاداتها السكناية عن حرائر النساء بالبيض .  
 قال امرؤ القيس :

وبعضه خدر لا يرام خبوتها تمتعت من طوبى بها غير معجل

وقوله تعالى : « أو من ينشأ في الحلية ، وهو في الخصاص غير مبين » فإياه  
 سبحانه كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترف والتزين والتشاغل عن النظر  
 في الأمور « وديق المعاني .

ومن السكناية عن النسبة قوله تعالى : « ليس كذلك شيء » بناء على الراجع

(١) ذكرت هنا بناء على أن أكثر علماء البيان يحفلون التعريض نوعاً من أنواع  
 السكناية ، وصورة من صورها .

من جعل الكفاف أصلية لا زائدة، وحينئذ يكون كناية عن نقي مثله تعالى،  
إذا لو كان له مثل لكان هو سبحانه : مثل مثله ، والله سبحانه موجود قطعاً ،  
فحق مثل النمل حينئذ يؤدي إلى نفيه سبحانه وهو باطل .

وحينئذ لا فرق بين قوالك : « ليس كفه شيء » وقوالك : « ليس كنهه  
شيء » إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها ، وهي المبالغة في نفي المماثلة عن ذاته  
تعالى . . . وذلك هو شأن الكناية وأما .

### السرف في عظمة الكناية وجهالها في القرآن الكريم

إنك إذا تأملت الأسلوب الكنعاني في القرآن ، - وكنت من أرباب  
الفصاحة والبيان - ، أدركت أنه فوق طاقة بني لإنسان ، وأنه فيه من روعة  
التعبير ، وجمال التصوير ، وألوان الأدب والتهديب ما لا يستقل به بيان ،  
ولا يدركه إلا من نذوق حلاوة القرآن ، وأنه ينطوي تحت لطائف وأسرار ،  
لا يصل إلى مكنونها إلا من منج ذوقاً رقيقاً ، يدرك ما احتجب خلف الأستار  
من الأسرار ، وأن فيه من السحر الخلال ما يبهر المهرة من صنائع الكلام ،  
ومن هنا تظهر عظمة الأسلوب الكنعاني في القرآن ، ويتضح جهاله الخلاب ،  
وحسنه الفتان ، وتأثيره القوي لا بدانيه تأثير . وستطيع أن تجعل السرف في  
عظمته وجهاله قياً على :

١ - الكناية في القرآن تمتاز بالإيجاز اللطيف المعجب القوي لا يستطيع  
محاكاةه أرباب الفصاحة والبيان من بني الإنسان . فمن ذلك قوالك قوله تعالى :  
« نسألكم حرث لكم » (١) لقد كنى القرآن الكريم في هذه الآية بكلمة  
« الحرث » عن « المعاشرة الزوجية » وهذا اللفظ فضلاً عما فيه من الأدب وثيق

الصلة بالمعاشرة الزوجية ، وتنطوي تحتها ما إن كثيرة تحتاج في التمييز عنها إلى آلاف السجلات . انظر إلى ذلك التشابه بين صلة الزارع بحرفته ، وصلة الزوج بزوجه في هذا الجمل الخاص ، وبين ذلك الثبت الذي يخرج به الحرث ، وذلك الثبت الذي يخرج الزوج ، وما في كليهما من تكثير وعمران وفلاح ، كل هذه الصور والله التي تنطوي تحت كلمة « حرث » التي كنى بها القرآن عن المعاشرة الزوجية (١) ، فهل هذه الكناية يستطيع أن يحاكمها بنو الإنسان مهما أو توامن الفصاحة والبيان ؟ إنها حق لا توجد إلا في القرآن ولا تصدر إلا عن خلق الإنسان وعامة البيان .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « ثبت بدا أبي (٢) لب وتب » فهذه كناية عن أنه جهنم وأن مصيره إلى اللهب . انظر إلى هذه الكناية ، وما فيها من الإيجاز اللطيف للمجيب الذي نعني لمقامته جباه أصحابين البيان ، لقد اختصرت مقدمات لا أهمية لها بالتنبيه على النتيجة الحاسمة التي يتقرر فيها المصير ، فلتخصت في ومضة واحد هذا المصير الذي يراد تصويره .

٢ — للكناية في القرآن نماز بجمال التعبير ، فهي مؤدبة ، مهذبة وأنها في هذا الميدان قد حازت قصب السبق ، وتربعت على عرش الجمال ، وعجز عن إدراك شأوها صفوة فرسان البيان بعد أن ذابت نفوسهم تأثراً بما فيها من الروعة والسحر الخلال :

ومن ذلك قوله تعالى : « ولكن لا تواعدوهن سرا » (٣) فقد كنى القرآن الكريم في هذه الآية عن الجماع بالسرا . تأمل هذه الكناية : ومدى ما فيها من المصائب والأنوار والأسرار ، إن في الكناية بالمر من الجماع من ألوان

(١) التصوير للقرآن للمرحوم سيد قطب ص ٧٨ (٢) المسد :

(٣) البقرة : ٢٣٥

الأدب والتهذيب ، ما يعجز عن وصفه أساطين البيان ، وفيها من جمال التعبير ما يشرق الاسماع ، ويهز العواطف ، ويحرك لأحاسيس والشاعر . لقد أبست الجماع الذي يتم في السر ثوب السر فذهبت بسر الفصاحة والبيان ، أبعد هذا يقال : إن السكناية في القرآن يستطيع أن يحاكيها فرسان البيان ؟ أبدأ والله أنهم من المعجز بحيث لا يمكنهم فهم ما تنطوى عليه السكناية في القرآن من الأسرار (١) .

ومن ذلك قوله تعالى : « والذين هم قروجهم (٢) حافظون » وقوله تعالى « والحافظين (٣) قروجهم والحافظات » فقد كى القرآن في الآيتين (٤) بالفروج عن العفة وطهارة القلب ، فاتفرج ثياب المؤمنين عن ريبة ، ولا تتكشف دروع المؤمنات عن منكر ، بل المؤمنون والمؤمنات نقيات ثيابهم طاهرة أذياهم عفيفة نفوسهم . وقوله تعالى : « ومريم بنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا (٥) »

فأحصنها فرجها كناية عن طهارة ذيلها وعفتها السكاملة ، وكان النفع في جيب درعها كما ورد في كتب التفسير .

إن في السكناية بالفروج «فروج القمصان والثياب» عن عفة النفس وطهارة القلب من روعة التعبير وجمال التصوير ، وألوان الأدب والتهذيب ما لا يستقل به بيان ، ولا يدركه إلا من تذوق حلاوة القرآن .

٣ .. الأسلوب السكناي في القرآن يعجاز بحسن التصوير ، وقوة التأثير ،

(١) انظر ص ١١٠ من كتابنا والإعجاز في نظم القرآن ،

(٢) المؤمنون : ٥ (٣) الأحزاب : ٣٥

(٤) المراد بالفروج في الآيتين فروج القمصان والثياب على حد قوله تعالى

« وثيابك فطهر » كناية عن العفة وطهارة القلب وانظر اليرهان للزركشي ص ٣٠٥ ص ٣٠٥ ،

ومحاضرات القرآن للشيخ الوضي ص ٣٥٢ ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٠٧ ،

(٥) التحريم : ١٢

فهو يوضح المعاني بالمبالغات الحسنة الساحرة ، فيقرب الفكرة المجردة من الصورة الحية ، فتستعمل المبالغة فيه بلاغة ، ويصير التهويل فيه تخيلا . فمن ذلك قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط ، فتقصد ملوما محسورا (١) » ألا ترى أن التعبير عن البخل باليد المغلولة إلى العنق ، فيه تصوير محسوس لهذه الحالة المذمومة في صورة : بخيضة منفرة ؟ فهذه اليد التي غلت إلى العنق ، لا نستطيع أن تمتد ؛ وهو بذلك يرسم صورة البخل الذي لا نستطيع يده أن تمتد بإفراط ولا عطية ، والتعبير ببسطها كل البسط ، يصور هذا المبذر الذي لا يبقى من ماله على شيء كهذا الذي يبسط يده فلا يبقى بها شيء ، وهكذا استطاعت السكناية أن تنقل المعنى قويا مؤثرا (٢) .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بمصمكم بعضا ، أيجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه (٣) ... »

انظر كيف مثلت الآية النبوية بأكل لحم الإنسان ، ولكن أي إنسان ؟ إنه أخ ، وإن المغتاب يأكل لحم أخيه ، وأي أخ هذا ؟ إنه الأخ الميت الذي تفسخ لحمة ، وفاحت روائحها ، وكان للدود منه نصيب ، ومن يستطيع أن يقبل على أكل لحم إنسان أخ ميت متفسخ ؟

هذا الاقتياب ذكر لساوي الناس ، ، وتزريق لأعراضهم ، ونهش لسمعتهم وتحض لفضائلهم ، لا في وجوههم ، ولا بين أيديهم ، وإنما من وراء ظهورهم ، إنه فعل الجبناء الضعفاء الذين لا يظهرون قوتهم إلا في الخلاء ، وعند فراع الساحة من الرجال ، وهؤلاء الذين يتقاربون الناس مثلهم كمثل الثاقفين الذين

(١) الإسراء : ٣٩ من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوي ص ٢٢٦

(٢) الحجرات : ١٢

ينتظرون موت الإنسان ، ليسكون بلا عقل ولا حس ولا حياة ليتهمشوا لحمه ،  
وإن كان نشاء ذلك لأنهم لم يستادوا الأطايب في الحياة ، وإعما استساغوا الأقدار  
والآثان ، ألا تحس روعة السكناية القرآنية ، وجمال تصويرها ، وحسن أدائها  
وقوة تأثيرها ؟

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « فانقوا النار التي وقودها (١) الفاس  
والخجارة »

فقد كنى القرآن بهذه الآية عن عدم العناد عند ظهور المعجزة . أي لا تعاندوا  
عند ظهور المعجزة فتسكم هذه النار العظيمة . تأمل هذه السكناية ، ومدى ما  
قيها من جمال التعبير وروعة التصوير ، وقوة التأثير ، إنها عبرت عن العناد عند  
ظهور المعجزة بالنار العظيمة . وهذا التمييز فيه ما فيه من شدة التنفير وقوة التأثير  
ثم إن هذا التمييز قدأرزلك هذا المعنى الفسكوى المجرد في صورة محبة ملموسة ،  
ولم ينف عنده هذا الخدم التجسيم والتشخيص ، بل تعداه إلى التصيير والتحويل  
فحولته إلى نار ملتهبة متأججة متوهجة . أرايت أعجب من هذا التصوير ، ولا  
أروع وألذ من هذا التعبير (٢) ؟ إنها السكناية القرآنية تبهرك بجمالها ، وتأمرك  
يسحر ببيانها ، وتسجرك عن محاسنها .

ومن هذا القبيل السكناية عن الشئون الغيبية بالمفاتيح في قوله تعالى : « وعند  
مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو (٣) » والسكناية عن أزلية الأرزاق والمقدرات  
بالخرائن في قوله تعالى : « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا  
بقدر (٤) معلوم »

(١) الآية : ٢٤ .

(٢) انظر ص ١٠٩ من كتابنا « الإعجاز في نظم القرآن »

(٣) الأنعام : ٥٩ (٤) الحجر : ٢١

٤ - الكناية في القرآن تتألف بنظمها البديع ، وتأليفها الفريد ، فمعناها لا يؤدي بغير لفظها ، ولفظها لا يصلح إلا لمعناها ، حتى لتكاد تصعب التفرقة بينهما ، فلا يدري أيهما التابع ؟ وأيهما المتبوع ؟ وهي من هذه الناحية ، تملن مظاهر الإعجاز في القرآن .

ومن هذا القبيل قوله تعالى : « ما المسيح ابن مريم (١) إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » فقوله : كانا يأكلان الطعام » كناية عن « قضاء الحاجة » تأمل هذه الكناية ، وما فيها من دقة التعبير ، وجل الصياغة ، وبديع النظم ، ثم حدثني بربك هل يمكن أن تؤدي هذه الكناية بغير لفظها ؟ وهل لفظها يصلح لغير معناها : أبدا والله لأن الترابط بينهما وثيق ، وإن الانسجام بينهما قوى ، وإن التآلف بينهما محكم وحميق ، قالما كول لا بد من صيرورته إلى العذرة .

ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى : « أو من (٢) يقشأ في الخليليه وهو انخصام غير مبين » كناية عن « النساء » إن هذه الألفاظ القرآنية لا تصلح إلا للكناية بها عن النساء ، وإن النساء لا يكتفى عنهن في هذا المقام إلا بهذه الألفاظ فلهذا يشآن في الترف والتزين والتشاغل عن النظر في الأمور ، ودقيق المعاني . أرايت أجمل من هذه الصياغة ، ولا أمتع من هذا التعبير ، ولا أقدم هذا التصوير ؟

ومن هذا القبيل أيضا ، الكناية بالمرادة عن طلب الجماع في قوله تعالى : « وراودته (٣) التي هو في بينها عن نفسه » والكناية عن المعاينة باللباس في قوله تعالى : « هن لباس لكم (٤) وأنتم لباس لهن » ، والكناية عن البول ونحوه بالفاظ في قوله تعالى : « أو جاء أحدكم من الفائط (٥) » والكناية عن الاستاء بالأديار في قوله تعالى : « يضربون وجوههم وأديبارهم »

(١) المائدة : ٧٥ (١) الزخرف : ٧٥ (٢) يوسف : ٢٣

(٤) البقرة : ١٨٧ (٤) النساء : ٣

## خاتمة

لقد قمت في هذا البحث بدراسة الكفاية في مؤلفات القدماء والمحدثين من علماء البيان العربي ، ثم كتبت النقاب عن أسرارها البلاغية ، ثم بحثت عنها في رياض القرآن الكريم ، متتبعا شواهدا ، مزيجا الستار عن بعض محاسنها ومفاتيحها . ثم أملت اللثام عن أسباب عظمتها وجمالها في هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ثم توصلت في نهاية المطاف إلى النتائج الآتية : —

١ — عرفت الكفاية كمصورة بيانية عامة في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري على يد أبي عبيدة معمر بن المنفى ، فقد أراد منها ستر المعنى وراء أي لفظ آخر غير اللفظ الأصلي .

٢ — ظلت عامة ، ودون تعريف يميزه عن غيرها من الصور البيانية حتى أواخر القرن الثالث الهجري .

٣ — بدأت في التميز والاستقلال عن غيرها في بداية القرن الرابع الهجري على يد قدامة بن جعفر السكاك ، فهو أول من وضع لها تعريفا ، يميزها عن غيرها من صور البيان العربي .

٤ — وضعت مبادئها ، وتحددت معالمها ، واستقلت عما عداها ، وظهرت بحاستها في النصف الأخير من القرن الخامس الهجري على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني ، فقد عرفها ، وبين مزيتها على التصريح ، وكشف النقاب عن محاسنها ووضع شروطا لحستها :

٥ - تميزت تميزاً تاماً ، واستقلت استقلالاً كاملاً ، وليست ثوباً قائماً من الفلسفة والمنطق في بداية القرن السابع الهجري على يد الإمام أبي يعقوب السكاكي ، فقد عرفهم ، وعلى تسميتها ، وفرق بينها وبين الجاز ، ثم ذكر أقسامها ، وأنواعها بطريقة فلسفية منطقية ، تكاد الذهن ، وترهق الفكر ، ولا تتلاءم مع جمال هذه الصورة البيانية ولطافتها .

٦ - ليست ثوباً من الشعر والفنفة ، واتسعت دائرة البحث فيها ، فتخطت حدود اللغة العربية إلى غيرها من اللغات الأخرى كالسريانية والفارسية في النصف الأول من القرن السابع الهجري على يد الأديب الكبير ضياء الدين ابن الأثير ، قد اعتمد في دراستها على ذوقه وحسه ، فأكثر من شواهد الأدبية ، وخرجها مخرباً حسناً ، وحللها تحليلًا جميلًا ، ولم يكف بدراستها في اللغة العربية ، كما فعل غيره من العلماء السابقين ، بل تعدى هذا إلى دراستها في اللغة السريانية والفارسية .

٧ - بدأ البحث عنها في القرآن الكريم في أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري على يد الأديب المصري الكبير ابن أبي الإصبع المصري فقد كشف عن فوائدها في القرآن بطريقة أدبية فريدة لم يسبق إليها ، وبأسلوب يتلاءم مع طبيعتها ، ويتناسب مع جمالها ولطافتها .

٨ - خلعت رداء حسنها وجمالها ، وذيلت زهرتها ، وانزوى عودها ، ودخلت في دائرة الفاسدة والمنطق مرة أخرى في النصف الأول من القرن الثامن الهجري على يد الملوي ، فقد تتبع تعريفاتها السابقة بالفقد والتعجيل مستبداً في ذلك على عقله ، وثقافته المنطقية .

٩ - اتسع للبحث عنها في القرآن الكريم في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري على يد الزركشي ، فقد كشف عن أسبابها في القرآن بأسلوب أدبي رائع ، وبطريقة سهلة ميسورة ، لا تكدر ذهن ، ولا ترهق الفكر ، وقد أكثر من شواهد القرآنية ، مبينا موضع السكناية في كل شاهد منها .

١٠ - لم تظهر أسرارها البلاغية بوضوح إلا في العصر الحديث ، وبخاصة على يد المرحوم الشيخ علي الجارم ، والأستاذ مصطفى أمين ، والدكتور أحمد بدوي ، والدكتور بدوي طهانة .

١١ - إن القرآن الكريم قد اشتمل على معظم شواهد التفسيرات السكناية للمصطلح عليها عند المتأخرين من علماء البلاغة .

١٢ - لقد تميزت السكناية في القرآن الكريم بضافته من الخصائص كانت السر في عظمتها ، والسبب في خلودها .

هذا جهدي في دراسة الأسلوب السكناي قد سبغت في هذه الصفحات ، فإن أكن قد وقت ، فذلك الفضل من الله ، وإن كنت قد قصرت في بعض الجوانب أو جانبتي للصواب ؛ فأنا بشر والبشر دينهم التقصير وفي طبعهم الخطأ ، والله الكريم أسأل أن يجعل هذه الدراسات خاصة لوجهه الكريم ، وأن يجعلنا من طلاب العلم العاملين . وأن يهيئ لنا الأسباب الموصلة إلى تحصيله ، وأن يعيننا على استيعابه والعمل به إنه سميع مجيب وهو حسبي ونعم الوكيل ؟ وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدكتور

محمود السيد شيخون

الأستاذ المساعد في الجامعة الإسلامية

بالتدريسة المنورة

## فهرس الموضوعات

٦٠ - ٦	تمهيد :
	مقدمة
٦٩ - ٦١	الفصل الأول : الكفاية في القديم
٨٦ - ٧٠	الفصل الثاني : الكفاية في العصر الحديث
٩٤ - ٨٧	الفصل الثالث : صور الأسلوب الكفائي
١٠٧ - ٩٥	الفصل الرابع : الأثر البلاغي للأسلوب الكفائي
١١٠ - ١٠٨	الفصل الخامس : الأسلوب الكفائي في القرآن الكريم
١١٢ - ١١١	الخاتمة : أميت فيها النتائج التي انتهت إليها في بحثي هذا
	فهرس المراجع

## فهرس المراجع

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني ط المنار سنة ١٩٤٧ م
- ٣ - أسس النقد الأدبي - أحمد أحمد بدوى الطبعة الثانية
- ٤ - الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع الحجاز - عز الدين بن عبد السلام ط الأستانة سنة ١٣١٣ هـ
- ٥ - الإعجاز في نظم القرآن - الدكتور / محمود السيد شيخون ط القاهرة سنة ١٣٩٧ هـ
- ٦ - الإيضاح - الخطيب القزويني ط القاهرة سنة ١٩٥٠ م
- ٧ - البديع - ابن المعتز ط القاهرة سنة ١٩٤٥ م
- ٨ - بديع القرآن - ابن أبي الإصبع المصري ط القاهرة سنة ١٩٥٧ م
- ٩ - البرهان في علوم القرآن - الزركشي ط القاهرة سنة ١٩٥٥ م
- ١٠ - البلاغة الواضحة - علي الجارم ، ومصطفى أمين ط القاهرة سنة ١٣٨٣ هـ
- ١١ - البيان والتبيين - الجاحظ ط القاهرة سنة ١٩٤٨ م
- ١٢ - تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة ط القاهرة سنة ١٩٥٤ م
- ١٣ - التبيان في علوم القرآن - محمد الصابوني ط بيروت سنة ١٩٦٤ م
- ١٤ - تحرير التعبير - ابن أبي الأصبع المصري ط القاهرة سنة ١٩٦٤ م
- ١٥ - التصوير الفني في القرآن - المرحوم سيد قطب ط القاهرة سنة ١٩٦٦ م
- ١٦ - الجامع الكبير - ضياء الدين بن الأثير - ط بغداد سنة ١٩٥٦ م

١٧ - جواهر السكز - نجم الدين بن الأثير الحلبي ط القاهرة تحقيق الدكتور  
زغلول سلام

١٨ - جواهر البلاغة - أحمد الماشي : ط القاهرة سنة ١٩٤٠ م

١٩ - خزائن الأدب - ابن حجة الحوى : ط القاهرة سنة ١٩٠٤ م

٢٠ - دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني : ط القاهرة سنة ١٣٣١ هـ

٢١ - سر الفصاحة - ابن سنان الخفاجي : ط القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ

٢٢ - الصاحي - ابن فارس : ط القاهرة سنة ١٩١٠ م

٢٣ - الصناعة - أبو هلال العسكري : ط القاهرة سنة ١٩٥٢ م

٢٤ - الطرائد - يحيى العلوى - ط المتكطف سنة ١٩١٤ م

٢٥ - علم البيان - الدكتور بدوى طيانة : ط القاهرة سنة ١٩٦٢ م

٢٦ - علوم البلاغة - أحمد المرافى : ط القاهرة سنة ١٩١٧ م

٢٧ - العمدة - ابن رشيقي : ط القاهرة سنة ١٣٠٧ م

٢٨ - الكامل - البرد : ط القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ

٢٩ - لسان العرب - ابن منظور - ط القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ

٣٠ - المثل للسائر - ابن الأثير ط . القاهرة ١٩٦٣ م .

٣١ - مجاز القرآن - أبو عبيدة معمر بن المنى : ط انطاكي سنة ١٩٥٤ م

٣٢ - مختار الصحاح - الرازي - ط القاهرة سنة ١٩٢٢ م

٣٣ - مفتاح العلوم - السكاكي - ط القاهرة سنة ١٣١٧ هـ

٣٤ - من بلاغة القرآن - المرحوم الدكتور أحمد بدوى : ط القاهرة سنة ١٩٥٠ م

٣٥ - نقد الشعر - قدامة بن جعفر الكاتب : ط الجواثب سنة ١٣٠٢ هـ

٣٦ - نهاية الأرب - النويري : ط دار الكتب المصرية .

٣٧ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز - الرازي : ط القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ

٣٨ - الوسيلة الأدبية - حسين المرصفي : ط القاهرة سنة ١٣٨٩ هـ

